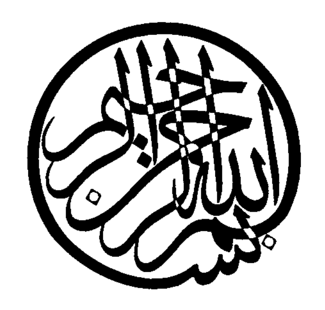


المعلّم الكفء

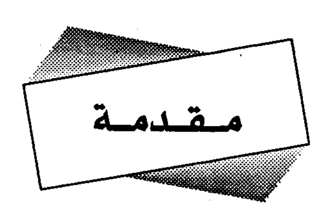
د/ عبد الحليم بن إبراهيم العبد اللطيف

١٤٢١هـ



ح نادي القصيم الادبي ، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبد اللطيف ، عبد الحليم بن إبراهيم
المعلم الكفء - الرياض.
١٧٦ ص ، ١٧×٢٤سم
ردمك : ٣-٢٧-٦١٩-٩٩٦٠
١- المدرسون ٢- التعليم- أخلاقيات أ - العنوان
ديوي ٣٧١,١١ ٢١/٢٥٩٣

رقم الإيداع : ٢١/٢٥٩٣
ردمك : ٣-٢٧-٦١٩-٩٩٦٠



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على صفوة خلق الله هادي الإنسانية ومعلم البشرية وأستاذ الحياة وبعد:

الحديث عن التربية والتعليم، عن معاقل الرجال ومصانع الأبطال بتوفيق الله ممتع وممرع ثم الحديث عمن يقوم على هذه المعاقل أكثر إمتاعاً وتشنيفاً للأسماع وقبولاً لدى الطباع وأعني بذلك المعلم. المعلم الكفء الذي يعي مسؤوليته ويعرف واجبه ويدرك أهمية العمل الذي أنيط به. ولم تكن التربية في يوم من الأيام كحالها اليوم حاجة وأشد إلى الأكفاء، وتشتد الحاجة إليهم يوماً بعد يوم حسب مقتضيات العصر ومتطلبات الحياة، وإذا كان التسابق في المعطيات الحضرية والمنجزات العصرية على أشده فإن التسابق في إعداد المعلم وإمداده بما هو نافع ومفيد ينبغي أن يكون أشد فلا تسابق ولا تنافس شريفاً ديناً ودنيا بدون تربية قاصدة صاعدة ماجدة تؤتي ثماراً يانعة. وإذا كنا نعلم علم اليقين أن أي تقدم مادي أو علمي أو روحي أصيل في أي مجتمع من المجتمعات متوقف على تقدم المتعلمين والمعلمين في التعلم والتعليم. وهذا التقدم المرغوب والمطلوب متوقف هو الآخر على حسن أدائهم وجودة طرقهم ومدى توجههم إلى أفضل وأنبل الطرق في التعليم وإلى أفضل الطرق وأجود السبل في توجيه طاقات الشباب والطلاب واستخدامها الاستخدام الأمثل في عملية التعلم الجيد. إننا كتربويين لا بد أن ندرك تماماً أنه لا بد أن يكون الاهتمام بتوجيه المتعلم لا يقل عن اهتمامنا بتوجيه ورعاية المعلم وحسن إعداده. ولعل من أهم الدوافع والبواعث لإعداد هذا البحث والمساهمة قدر الطاقة في هذا المجال الخصب هو إيماني التام بأن التربية الجيدة بغير نزاع ما زالت ولن تزال في كل الأمم وفي جميع الأقطار والأمصار وفي جميع العصور

هي محور التقدم وهي حجر الزاوية في كل صلاح أو إصلاح أو تفوق تربوي متميز، كما أنني أجزم أن أي تبديل أو تعديل في أي مجال من مجالات الحياة غير مستند إلى التربية الصحيحة ذات الجذور والأسس والبذور الأصلية إنما هو ترقيع يائس بائس لا يخدم هدفاً ولا يحقق غاية ولا يوصل إلى نتيجة سليمة، إن الحياة تشعبت ومتطلباتها قد كثرت وإن العلوم تبع ذلك قد تقدمت وتوسعت ووقف الكثير جهده وحياته وفكره للعلم ومنجزاته وتسابق العالم في صراع محموم فيما هو نافع ومفيد وأحياناً فيما يضر سنة الله في خلقه وكأن البعض منهم يؤكد قول الشاعر:

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يُرَجَّى الفتى كيما يضر وينفع

وما دام الأمر كذلك فلا يمكن بحال من الأحوال أن تتم عملية الإبداع والاختراع والإمتاع ودفع عجلة التقدم والرقي والسير مع السائرين في موكبها الحثيث إلا ببذل المستطاع في ذلك ومواصلة البحث المستمر، وأن ذلك أفضل الطرق في تحصيل أكبر قدر ممكن من المعلومات في أقل وقت وبأقل جهد ممكن وبأقل ثمن إذا لا بد من الاهتمام المفيد والبحث المتواصل عن أكبر العوامل الموصلة إلى التطبيق والتعميق ولا بد من الاهتمام بالأسلوب العلمي والسير في الطريق الصحيح الذي ينيره العلم الموثق.

إن العلم الصحيح خير مرشد وموجه وأكبر كنز وأعظم طاقة إذا استرشد به الإنسان وما ميزة الإنسان عن الحيوان إلا بالعلم وما ميزة العالم على الجاهل إلا بالعلم وما تميزت أمة عن أمة أخرى إلا بالعلم، ومنجزاته وخيراته وكل ذلك متوقف على رجلين معلم كفء وطالب مهتم، وتقدم البلاد ـ أي بلاد كانت ـ متوقف بعد توفيق الله على هذين العنصرين إذاً فعلينا نحن التربويين أن نقدم إلى المتعلمين طرق التعلم الأصيل قبل أن نبدأ بتقديم المعلومات أو العلوم والمعارف إليهم، وإلى جانب ذلك علينا أن نكوِّن في أنفسهم دوافع واستعدادات للعمل بما يتعلمون (التطبيق العملي الواقعي لما يعلمون) وتنظيم حياتهم تنظيماً علمياً، فما ضاعت الأموال والجهود المبذولة في ميدان التعليم إلا بسبب الجهل بطرق التعليم والتعلم وكم فشل في التعليم من أعداد، البلاد بأمس الحاجة إليهم

لا لقلة استعدادهم بل لقلة التوجيه وسوء الرعاية ومن هنا تظهر لنا قيمة التوجيه إلى أفضل الطرق في التعلم لأن المدرس المدرك، المدرس الكفء يوفر على المتعلم جهداً ووقتاً ونحن أحوج ما نكون إلى الجهد والوقت.

وكلي أمل ورجاء بعد توفيق الله أن يفتح مثل هذا البحث نافذة مضيئة على جانب هام وكبير من جوانب العملية التعليمية والتربوية وهو المعلم الكفء المقتدر «إعداده، تدريبه، اهتمامه، اختياره، مسؤولياته، أهميته، بُعْد أثره في تخريج المسلم الصالح القادر بعد الله على حمل الأمانة وأداء الرسالة، إذاً فالقصد من إعداد هذا الكتاب والمساهمة في هذا الباب هو أن هذا الجهد المتواضع أحد المصابيح والمشاعل التي تنير الطريق أمام السالكين من التربويين المخلصين وأخص بذلك المعلمين العاملين لخدمة دينهم وأمتهم ووطنهم الذين يعنون كثيراً بإعداد الشباب والطلاب لتحقيق أفضل وأنبل غاية وهي النهوض بعمليتي التعليم والتعلم ووضع التلاميذ في المكانة اللائقة بهم متمسكين بآداب الإسلام ومراميه ومقاصده العظام والحقيقة التي لا تنكر ولا تقبل الجدل بحال، فإن مسؤولية المدرس عظيمة ورسالته كبيرة وأثره عميق فهو الذي يتسلم حبات قلوبنا وهي لا تزال غضة طرية وفلذات أكبادنا وهم لا يزالون صغاراً حديثي العهد بالكون والحياة، نعهد إليه مسؤولية الإعداد والتنشئة والتربية والتعليم يعدهم للمستقبل الباسم المشرق إن شاء الله، نعهد بهم إليه ليرعاهم ويعتني بهم ويهتم بحالهم ومآلهم ليعدهم للمستقبل الدنيوي والأخروي، يسلحهم بسلاح العلم والإيمان ويزودهم بالمعارف والتجارب الخيرة، لهذا فالمطلوب منه أن يكون أكثر اهتماماً والتزاماً واقتداراً يساعد على التعليم الجيد وعلى النمو الصحيح. والنمو المعرفي والمسلكي والجسمي في اتجاه سليم. يساعدهم على قطع رحلة الحياة وفق شرع الله وتحت مظلة دينه وشرعه. اتجاه كريم قويم يعود بالخير عليهم وعلى أوطانهم وأهليهم ينفع ويرفع بهم الله البلاد والعباد يعيش الواحد منهم بتوفيق الله سعيداً وينقلب إذا أراد الله منقلباً حميداً. يجعل المعلم الكفء شخصياتهم قوية ومعارفهم كبيرة وقدراتهم متينة واستعداداتهم كثيرة وإبداعهم متعدداً يجعل منهم شخصيات معينة

لا تقهرها الصعاب ولا تلويها الرياح يجعل عزائمهم فتية لا تتراجع ولا تخور أمام العقبات ولا تضيع ولا تتميع أمام المغريات وحتى يشعر كل منهم بالسعادة والرضاء عن نفسه وعن عمله وتوجهه، يحسون بالسكينة والراحة والاطمئنان.
ومن حسن الحظ في بلاد عديدة ومنها بلادنا العزيزة أنه واكب التطور الهائل والمتعدد الجوانب والمناحي في هذا العصر تطور هائل ومماثل في مجالي التعليم والتعلم والتربية الصحيحة فالتعليم وكما هو بين وواضح لم يعد دروساً تلقى ولا معارف تطرح ولا مواد تبين وتشرح ولم يعد قائماً أيضاً على الحشو والتلقين والترديد كما كان الحال قبلاً وإنما أصبح يقوم على أسس وثوابت وتنظيم وترتيب. تعلم التلاميذ وفق أفضل وأحدث النظريات التربوية المسلم بها مما يساعد على نمو التلاميذ النمو الكامل الشامل في جميع مناحي ودروب العلم التربوية والتعليمية والجسمية والعقلية الانفعالية والاجتماعية، والتعلم لم يعد قائماً على التلقين والحفظ والسرد كما أسلفت من جانب المتعلم وإن كان هذا اللون يمارس الآن مع الأسف الشديد على أيدي مدرس الضرورة وما أكثرهم في دنيا الناس وإنما أصبح التعليم الجيد وهو ما نادي به في بلادنا الطاهرة الناهضة. أصبح يقوم الآن على المشاركة والمنافسة والحوار والمبادرة الإيجابية والأخذ بالطرق التربوية السليمة ذات البذور والجذور القوية المعطاءة راجياً أن أكون موفقاً في عملي هذا مصيباً لكبد الحقيقة محققاً للهدف المراد من جمعه وتأليفه فالخير أردت والإصلاح قصدت والمساهمة قدر الطاقة قصدت وسأعد القارئ الكريم إن شاء الله أن أتخلص قدر الطاقة من النقل والاقتباس إلا ما دعت إليه ضرورة ملحة وحاجة قائمة وفائدة كبيرة كما أسلفت في كتابي مدير المدرسة صفاته وسماته والتوجيه التربوي، فليس من طبع كاتب هذه الأحرف عرض بضاعة الآخرين ولا ترويج تجارب أمم أخرى معاصرة وغير معاصرة. وليس معنى ذلك أنني أقلل من شأن تجارب القوم السابقين واللاحقين، فلهم سبقهم وفضلهم أو أنني أقول لا نستفيد من الصالح منها.
كلا وإنما القصد أنني أعيب على البعض النقل والسرد والتكرار كما هو الحال في فنون ومعارف عديدة ومنها بعض البحوث التربوية، الأمر الثاني أن يكون

لنا في هذه البلاد الطاهرة تربية مستقلة وشخصية متميزة مذكراً بالقاعدة التربوية لدى البعض وهي أن التربية بضاعة وطنية لا تستورد ولا تصدر ونحن في هذه البلاد بلاد الطهر والعفاف والتي انطلقت منها كلمة الله الأخيرة إلى البشر قبلة الدنيا ومحط آمال الناس أجمعين يفترض فينا خاصة التربويين التميز والسبق والأصالة كحال الأسلاف، ونحن بتوجيهنا هذا نحاول أن نربط الأبناء بالأجداد أصحاب الأمجاد وكما كنا بالأمس سادة الدنيا ينبغي أن نكون اليوم قادة الأرض. حقق الله الآمال ورزقنا الإخلاص في القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الحاجة إلى الكتب المتخصصة

عرف ذلك أسلافنا الكرام فعكفوا بدون توان على إعداد الكتب النافعة المعدة إعداداً قوياً تستمد أصولها ومادتها من أصول وجذور المادة المراد بحثها وأجهدوا أنفسهم في ذلك أيما إجهاد وصرفوا جل وقتهم وطاقتهم في ذلك فأتت المؤلفات وهي تحوي مادة أصيلة رائعة مرتبة ومع الفارق الكبير بيننا وبينهم فقد ألفوا وفق مقتضيات الحاجة وحسب قواعد وأصول العلم ونحن هنا نثبت السبق لأهله والتميز لأصحابه مشيراً هنا إلى عدد من النقاط التي ينبغي التفطن لها:

١ ــ لم يكن التأليف يوماً من الأيام سهلاً ولا يسيراً لأسباب كثيرة يعرفها المتخصصون والممارسون.

٢ ــ يقال من ألف فقد استهدف والبقية على القاريء الكريم.

٣ ــ المؤلف عندما يكتب فإنما يضع عقله وعلمه وتجاربه وأيضاً فإنه يعرض مادته ومعارفه ونظرته إلى العديد من الأشياء وسيقرأ الناس عامة والخاصة بوجه أخص ما قال وما كتب ويتبين من خلال ذلك رجاحة عقله، مقدرته وعلمه بالأشياء وحكمه عليها وبطبيعة الحال لا يعدم المخالف والناقد والأوسع تجربة وعلماً والمتخصص فعليه أن يستعد لذلك كله.

٤ ــ لم يكن التأليف يوماً من الأيام كحاله اليوم فقد أصبح أحياناً مطية سهلة يركبها المتخصص والعالم والناقد والمدرك وغيرهم وأحياناً المفلسون وغير المتخصصين ومن ألف ليقال وقد لا يقال.

٥ ــ التأليف ليس بالضرورة ابتداعاً واختراعاً ولا نقلاً للغث من الكلام

إنما هو مزيج من الخبرات والتجارب والعلم الأصيل والنقد الهادف والتميز المعرفي والإحاطة الشاملة بالمادة المراد التأليف فيها.

٦ ـ اعتاد البعض عندما يؤلف أن يلهب المشاعر ويدبج المقالات ويسرد النظريات ويعرض بضاعة الآخرين وأحياناً بصورة مشوهة فيصير المؤلف كما قال الشاعر:

فكان كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

٧ ـ التأليف في المجال التربوي لا يقبل البعد عن المادة وأصولها كما يفعل البعض كما لا يقبل سرد أقوال الآخرين وترديد كلام المنظرين وما أكثرهم في المجال التربوي خاصة.

٨ ـ التأليف في المجال التربوي لا يقبل القوالب المكررة وحكاية ما عليه وما جربه الآخرون فتؤخذ من ذلك البلد الذي له ظروفه وأحواله ومقوماته إلى بلد آخر يختلف عنه عقيدة ومنهجاً وأسلوب حياة يختلف عنه في مناخه وأحواله الاجتماعية والعقائدية والمالية والأسرية ولذلك أفلست كثيراً عندما نقلت إلى بلد آخر اختلف المناخ والواقع المعاش واختلف المعلم واختلف المدرس واختلفت ظروف الحياة والناس كالنبات ما يصلح في بلد قد لا يصلح في البلد الآخر.

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتزرع إلا في منابتها النخل

٩ ـ التأليف في المجال التربوي يكون آكد فاعلية وإيجابية وأجل نفعاً وأكثر استمراراً إذا ما كان نابعاً من عقل وطني مدرب مقتدر ومن تجربة حكيمة واعية وتطبيق عميق رفيق هادف يتسم بالعمق والبعد والموضوعية.

١٠ ـ أسلفت قبلا في بعض كتبي التربوية أن التربية بضاعة وطنية لا تستورد ولا تصدر وهذا الكلام وإن كان لبعض الغربيين ففيه شيء كثير من الصدق والواقعية وقد رأينا مصداق ذلك كثيراً.

١١ ـ من يندب نفسه للتأليف في المجال التربوي خاصة لأنه يخطط لعمل رجال ولحاضر ومستقبل أجيال لا بد أن يخوض معركة التربية في ميادينها

المختلفة ويحكي سلسلة التجارب التي مر بها مدرساً فوكيلاً فمديراً فموجهاً أو مفتشاً إلى آخر ذلك وإلا أصبح منظراً ومحل جهده أرفف المكتبات فقط.

١٢ ـ مكتباتنا في هذا البلد الكريم بأمس الحاجة إلى عقول وتجارب التربويين من أهل هذه البلاد وما أكثرهم بحمد الله.

١٣ ـ مكتباتنا في هذا البلد العزيز تفتقد كثيراً إلى المؤلفات التربوية النابعة من تراب هذا الوطن التي تمثل عقيدتنا وتراثنا وتحقق أهدافنا وأمانينا ومرامينا.

١٤ ـ لسنا بحاجة كثيراً إلى تلك المؤلفات التي يحاكي بعضها البعض الآخر وينقل أربابها من سبق في الشرق أو الغرب أو هنا وهناك ولذا أتى الكثير منها وفق نسق متقارب فلا تجديد ولا تغيير ولا إبداع ولا إمتاع.

١٥ ـ لسنا بحاجة في المؤلفات التربوية إلى نقل التعاميم والنشرات والبيانات والإحصائيات كما يفعل البعض.

١٦ ـ البعض في تأليفه أو جمعه كأنه يحقق مقولة (خذ من هنا وضع هنا وقل مؤلفه أنا) وكفى.

١٧ ـ التأليف صناعة متقنة وفن متميز تقصر عنه همة الكثير من الناس.

١٨ ـ التأليف فن وإبداع وإقناع وتميز وإتيان بمادة جيدة وخبرة مفيدة وطريقة متقنة.

١٩ ـ لا بد أن يواكب ويصاحب التقدم الذي أحرزته بلادنا الكريمة في الكثير من مناحي الحياة نهضة فكرية وتربوية يقودها تربويون متميزون هادفون مهتمون.

٢٠ ـ إذا كنا قبلاً وإلى وقت قصير نعفي التربويين في بلادنا وما أكثرهم والحمد لله في مجال التصنيف والتأليف لانشغالهم فيما يسمى أحياناً بالاهتمام بالبنية الأساسية وإعداد القاعدة الصلبة فإننا في مثل هذا الوقت لا نعفيهم للحاجة الماسة إلى عملهم وفكرهم وتجاربهم وإيمانهم خاصة من لديهم القدرة والندرة في ذلك.

٢١ ـ الانشغال بالأعمال الميدانية والعمليات التربوية والعلمية لا يعفي زملاءنا المقتدرين من المشاركة في هذا الباب وهو وكما هو معلوم رحب وواسع وكبير.

٢٢ ـ نحن بحمد الله الآن اجتزنا وبتوفيق من الله مرحلة من أهم وأعظم المراحل وأصبح لدينا بنية تربوية متميزة ومؤسسات عملاقة في هذا المجال فبقيت الآن مساهمة التربويين المساهمة الفاعلة المدركة.

٢٣ ـ هذا الكتاب وهذا الجهد الضعيف مساهمة أرجو أن تكون إيجابية في هذا السبيل.

٢٤ ـ يحاول كاتب هذه الأحرف ما استطاع البعد عن الاستطراد والتنظير وترديد كلام الآخرين ما استطاع كما أنه يحاول بجهده الضعيف أن يشارك ويساهم مع المختصين من تربويي هذه البلاد في أن نبني لأنفسنا في هذا البلد المعطاء منهجاً تربوياً متميزاً بأصالته وعمقه وبعده واستخلاصه من أصول التربية الإسلامية ذات الجذور والأصول العميقة، والتي أتت بخير النتائج.

٢٥ ـ يحاول كاتب هذه الأحرف البعد عن التسطيح والإغراب والتقعر وتدبيج العبارات الجوفاء والتي اعتاد البعض الاهتمام بها وشغل القارىء فيها.

٢٦ ـ في المجال التربوي ليس الناس بحاجة إلى الخطب الرنانة والكلمات الحماسية وإلهاب وإلهاء الشعور والمشاعر وإنما المقصود والمطلوب الحوار الهادئ والنقاش المعتدل والبحث العميق الدقيق المنطلق من الواقع المعاش وما ينبغي أن يكون.

٢٧ ـ لن أدخل في معارك خاسرة وأقوال متضاربة ونقول جامدة وتجارب عقول هامدة إلا بقدر ما يسمح به المقام وما يصلح لأن يكون مادة مفيدة وليس معنى ذلك الانغلاق والبعد عن تجارب الآخرين وإنما القصد التنقيح والبعد عن التسطيح والاستقلال في الرأي وأخذ ما هو نافع ومفيد ومحاولة إظهار شخصية المؤلف وتجاربه التربوية وما يصلح لهذه البلاد ذات التميز العقدي والوطني والاجتماعي والتربوي والأسري.

٢٨ ـ هذا جهدي وهذه تجربتي ومطالعاتي ومشاهدتي أسوقها لك راجياً أن تكون مفيدة في بابها نافعة لأصحابها وطلابها سائلاً المولى القدير السداد والرشاد إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المعلم: الاشتقاق اللغوي

العلم بفتحتين (العلامة وهو أيضاً الجبل ورجل علامة أي عالم جداً، الهاء للمبالغة واستعلمه الخبر فأعلمه إياه وأعلم القصار الثوب فهو معلم وأعلم الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان وعلمه الشيء تعليماً فتعلم وليس التشديد هنا للتكثير بل للتعدية ويقال أيضاً تعلم بمعنى أعلم قال عمرو بن معد يكرب:

تعلم أن خير الناس طرا   قتيل بين أحجار الكلاب

المعلومات عشر ذي الحجة، والمعلم الأثر يستدل على الطريق والعالم الخلق والجمع العوالم[1].

والعلم من صفات الخالق جل وعلا قال تعالى: وهو ﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2] وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[3] وقال: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[4] ويقال: للعالم الذي علمه الله علماً من العلوم ﴿عَلِيمٌ﴾ قال يوسف عليه السلام للملك كما في التنزيل ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[5] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[6]. والعلم نقيض الجهل وعلماء كحكماء لأن العلم محلمة لصاحبه وجمع عالم علماء ويقال علام أيضاً قال: يزيد بن الحكم.

ومسترق القصائد والمضاهي   سواء عند علام الرجال[7]

---

(١) مختار الصحاح، ص١٨٩ للرازي.
(٢) سورة يس: الآية ٨١.
(٣) سورة الزمر: الآية ٤٦.
(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٩.
(٥) سورة يوسف: الآية ٥٥.
(٦) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٧) لسان العرب لابن منظور، ص٤١٧ ج١٢.

وعلام وعلامة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عالم جداً والهاء للمبالغة كأنهم يريدون داهية من قوم علامين والعلامي الرجل الخفيف الذكي مأخوذ من العلام والعيلم البئر الكثيرة الماء قال الشاعر:

مـــن الـــعـــيـــالـــم الـــخـــســـف

وفي حديث الحجاج قال لحافر البئر أخسفت أم أعلمت يقال أعلم الحافر إذا وجد البئر عيلماً أي كثيرة الماء وهو دون الخسف[١] ويقال علم هو في نفسه إذا حصلت له حقيقة العلم وعلم الأمر أتقنه وعلم يعلم علماً علمه العلم والصفة تعليماً وعلاماً جعله يتعلم وأعلمه العلم والصفة يتعلم يقال علمته فتعلم وتعلم الأمر أتقنه والعلم المتصف بالعلم[٢]. والعلم إدراك الشيء بحقيقته والمعلم من يتخذ مهنة التعليم ومن له الحق في ممارسة إحدى المهن استقلالاً وكان هذا اللقب أرفع الدرجات في نظام الصناع كالنجارين والحدادين[٣]؛ قلت: والكثير الغالب أن تطلق كلمة معلم على من يتولى التعليم والتدريس للمواد المختلفة بطريقة نظامية أو غيرها كحال الكتاب والحلق ونحو ذلك ويطلق المعلم بين العوام على أصحاب المهن أو الحرف كما مر والكلمة في اعتقادي واسعة تشمل هذا وذاك.



(١) لسان العرب لابن منظور، ج١٢ ص٤٢١.
(٢) محيط المحيط، ص٦٣ بطرس البستاني.
(٣) المعجم الوسيط، ج١، ص٦٢٤.

المدرس: المدلول اللغوي

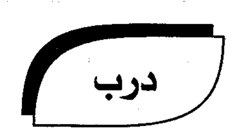
المدرس الكثير الدرس والتلاوة في الكتاب والمعلم[1]، وفي مفتاح المعجم تعني الدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد وهو الذي قرأ الكتب ودرسها، وقيل: المدارس الذي قارف الذنوب وتلطخ بها من الدرس[2] وهو الجرب والمدارس الذي قرأ الكتب ودرسها وقيل الذي قارف الذنوب وتلطخ بها من الدرس وهو الجرب كما مر.

والمِدْرَاس البيت الذي يدرس فيه القرآن مِفْعال ويقال سمي إدريس عليه السلام لكثرة دراسته[3] لكتاب الله ﷻ ودرس الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض، والدرس الجرب للبعير العليل ومن الباب درست القرآن وغيره وذلك أن الدارس يتبع ما كان قرأه كالسالك للطريق يتتبعه[4].

وهناك ارتباط تام في السياق اللغوي للدرس وهو طلب العلم والمدرسة وهي مكان التعلم والدراسة والدارس والمدرس يدرس الحب والثمر في موسم الحصاد وهو فصله عن سنبله إذ تلتقي كلها حول مادة واحدة ومنسق واحد[5].



(١) المعجم الوسيط، ج١، ص١٠، باب درس.
(٢) تهذيب اللغة للأزهري.
(٣) ج١٢ ص٣٦١ باب درس.
(٤) لسان العرب، ص١ ابن منظور، ص٩٦١، ص٩٦٩.
(٥) العلاقة بين الطالب والمعلم، محمود عمار ص٩.



درب

لاتصالها بعلم ودرس وما اشتق وتفرع منها قال العرب درب به درباً ودربه اعتاده وأولع به وعلى الشيء مرن وحذق فهو دارب ودرب أدرب دخل الدرب وفي الغزو جاوز الدرب إلى العدو ويقال درب البعير علمه السير على الدرب والدرب المضيق في الجبال والمدخل الضيق والدربة الجرأة على كل أمر[1]. والتدريب الصبر في الحرب وقت الفرار وفي حديث عمران بن حصين وكانت ناقة مدربة أي مخرجة مؤدبة وقد ألفت الركوب والسير أي عودت المشي في الدروب فصارت تألفها وتعرفها ولا تنفر وقد درب بالشيء يدرب ودرب به إذا اعتاد قال كعب بن زهير:

وفي الحلم إدهان وفي العفو دربة ... وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق[2]

والدارب الحاذق بصنعته ودربت البازي على الصيد ودرب الجارحة حزاها على الصيد[3] وعقاب دارب وتدرب الرجل تهدأ والدرب ذو الدربة وعقاب دربة على الصيد أي متعودة والمدرب أيضاً الأسد ومن الإبل المخرج المؤدب[4].



(١) المعجم الوسيط، ١/ ٢٧٧.
(٢) لسان العرب ابن منظور، ١/ ٣٦١.
(٣) لسان العرب ابن منظور، ١/ ٣٦١.
(٤) محيط المحيط للبستاني، ص٣٧٥.

رسالة المعلم المسلم: رسالة أنبياء

انقطعت الرسالة السماوية ببعثة محمد ﷺ فهو خاتم النبيين وإمامهم وهو المعلم الأول وأستاذ الحياة بدون منازع والأنبياء والرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين كلهم معلمون ويكفي شرفاً ونبلاً للمهنة أنها تميزت عن غيرها من أعمال الحياة، أنها رسالة الأنبياء والرسل والأصفياء والعلماء والنخبة الممتازة من سلف هذه الأمة بل من الأمم جميعاً ممن سار على نهج الأنبياء واقتفى أثرهم ولا زالت هذه المهنة ولن تزال إلى قيام الساعة بيد الصفوة والنخبة من هذه الأمة، ولا زال النبلاء والفضلاء والكرماء والعلماء هم أربابها وفرسانها ولم يتميز قط بشر إلا بالتعليم والتعلم قال: بعض السلف إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم وقال ﷺ: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله[1] والعلماء ورثة الأنبياء[2] لم يخلفوا مالاً وإنما خلفوا وورثوا العلم والحديث هنا ذو شقين أو يدور على محورين أولهما:

١ ـ أهمية العلم.

٢ ـ وثانيهما أهمية العلم حالاً ومآلاً.



أهمية العلم:

أما الأول وهو العلم فلن أطيل فيه فقد كفانيه غيري ممن سبقني في هذا المجال إلا أنني أشير إشارة خفيفة بما أريد بيانه فأقول:

(١) ينفون عنه تأويل الجاهلية وانتحال المبطلين.

(٢) صحيح سنن أبي داوود باب طلب الحث على طلب العلم، كتاب العلم رقم ٣٦٦٤ ص٥٦، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

فضل الله العلم والعلماء وجعلهم أمناء وحملهم رسالة تبليغ على تعاقب الأجيال خلفاً عن سلف وأن يبينوا للناس أمر دينهم ودنياهم فهم الدعاة والهداة ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1] ووصفهم بالخشية فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2].

وسماهم أهل الذكر فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] ونوه بعلو منزلتهم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

والعلماء هم المسؤولون عن تبليغ الأحكام والآداب الشرعية والدعوة إلى الله على بصيرة وعلى كواهلهم تقع مسؤولية التبليغ وحمل الخاصة والعامة على العمل بالشريعة ولهم قدم صدق في رفع منار الحق والإصلاح على تعاقب الزمان. وصلة التربية بالعلم وثيقة وعميقة إذ كثيراً ما وصف العلماء المسلمون بالربانيين وقيل للعلماء ربانيون لأنهم يربون العلم أي يقومون به وزيدت الألف والنون للمبالغة[5].

ويعيد الأصمعي والإسماعيلي تلك النسبة إلى الرب فهو رباني لأنه يقصد ما أمره الله بقصده من العلم والعمل ويشترط ابن الأعرابي فيمن يلقب بالرباني أن يكون عالماً عاملاً ويقول ابن حجر والحاصل أنه اختلف في هذه النسبة هل هي نسبة إلى الرب أو إلى التربية والتربية على هذا للعلم[6].

وقد فسر ابن عباس الرباني بأنه الحكيم الفقيه وقال ابن عباس، كونوا ربانيين: حكماء فقهاء علماء[7].

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.
(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧.
(٤) سورة الزمر: الآية ٩.
(٥) فتح الباري، ١/ ١٦١.
(٦) المرجع السابق، ص١٦٢.
(٧) انظر: التربية في السنة النبوية أبو لبابة حسين وهو كتاب عميق وفريد في بابه ونافع لقرائه وطلابه. وانظر فتح الباري، ١/ ١٦٠.

وقال البخاري: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ويوضح ابن حجر ذلك بقوله صغار العلم ما وضع من مسائله وكبار العلم ما دق منها وقال أيضاً يعلمهم جزئياته قبل كلياته أو فروعه قبل أصوله أو مقدماته قبل مقاصده[1].

ولا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً عاملاً[2] معلماً والإسلام دين علم وكانت معجزته الباقية القرآن الذي دلت أول آية فيه على القراءة والاهتمام بها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[3] والرسول صلوات الله وسلامه عليه إمام العلماء وقدوة الفضلاء وأسوة النبلاء يهتم بالعلم ويعرف قدره حق المعرفة وقد وجه وحث المسلمين نحو العلم واهتم بالقراءة والكتابة وقصة افتداء أسرى بدر بتعليم كل أسير قارئ لعشرة من الصحابة دليل ذلك وهو بذلك يضع الأساس المتين لأصول التربية الإسلامية الراقية، وللمسلمين قواعد وأصول متينة في ذلك وكلها تقوم على تعظيم وتكريم العلم واحترام العلماء ورسم طريق سديد للعالم والمتعلم ومنهج فريد لطلبة العلم لا يجارى ولا يبارى، وتخلف بعض المسلمين اليوم سببه بعدهم عن هذا المنهل الرائع الرائق وانظر إلى قصة الخضر مع موسى وانظر إلى تلك المحاورة الجميلة الشيقة تنزيل من حكيم حميد حيث قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًاقَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧﴾[4]، ثم قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾[5] وفيها من الفوائد الشيء الكثير، وتعظيم الرسول ﷺ للعلم بين وواضح في هديه قال ﷺ: بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى أني لأرى الري يخرج في أظافري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا فما أولته يا

(١) صحيح البخاري، ١/١٦٢.

(٢) فتح الباري، ١/١٦٢.

(٣) سورة القلم: الآية ١.

(٤) سورة الكهف: الآيتان ٦٦، ٦٧.

(٥) سورة الكهف: الآية ٦٩.

رسول الله قال العلم[1]: كما أننا نجد علماء الإسلام والمحدثين والمؤلفين عندما يكتبون يشيدون بالعلم وفضله وأهله ويخصصون لذلك أبواباً مستقلة[2]، وقال تعالى حاثاً وموجهاً نبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3] ولصاحب فتح الباري فهم لطيف حيث قال لم يأمر الله نبيه بالاستزادة من شيء سوى العلم[4]. والعلم كما هو مشاهد يرفع وينفع صاحبه مادياً وأدبياً واجتماعياً ودينياً أيضاً شاهده ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[5] وواقع الحال في كل عصر ومصر وقطر ماثل للعيان لا يحتاج إلى دليل وبرهان فكم من وضيع رفعه العلم وكم من عزيز وضعه الجهل فهو الحسب والنسب وهي نماذج تتكرر في كل وقت وحين وترجمة البخاري ودقة فهمه رحمه الله واضحة في قوله: (باب العلم قبل القول والعمل) لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[6]. فبدأ بالعلم قبل غيره[5].

وحين نتحدث عن العلم إنما نقصد كل المعارف والعلوم التي تنفع في الدنيا والآخرة ولا تخالف الشرع المطهر ولباب العلم الفهم والفطنة وما أعظم فهم البخاري رحمه الله حيث قال: (باب الفهم في العلم)[6] وقد دلل على ذلك بأحاديث كثيرة تثبت نباهة وفهم الصحابة الكرام.

وقد عرف الفهم ابن حجر رحمه الله بقوله: (هو فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن من قول أو فعل)[7] ويكفي شرفاً للعلم وأهله قول الحق سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[8].

---

(١) البخاري، ١/١٩.
(٢) انظر: التربية في السنة النبوية أبو لبابة حسين ص٢٠ وما بعدها.
(٣) سورة طه: الآية ١١٤.
(٤) فتح الباري، ١/١٤٩.
(٥) البخاري: ١/١٦٩.
(٦) البخاري: ١/١٦٥.
(٧) فتح الباري ١/١٧٢.
(٨) سورة آل عمران: الآية ١٨.

فبدأ ﷻ بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأهل العلم وكفاهم ذلك شرفاً وفضلاً وجلالة ونبلاً[1].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[2].

وقال عبد الله بن مسعود: إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها وإنما العالم يخشى الله وتلا هذه الآية[3].

وقال عبد الرزاق ما رأيت أحداً أحسن صلاة من ابن جريج كنت إذا رأيته علمت أنه يخشى الله وقال ﷺ العلماء ورثة الأنبياء[4]. يقول العلماء: فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة ويؤيد ذلك قول الحق كما استشهد بذلك ابن حجر رحمه الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[5].

وقال ابن دريد:

ومداد ما تجري به أقلامهم   أزكى وأفضل من دم الشهداء

قال العلماء: الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادة لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس من حوله ومن بعده والنوافل مقصورة على صاحبها، ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات ولأن العلماء ورثة الأنبياء وليس ذلك إلا لهم ولأن طاعة العالم واجبة على غيره فيما هو من أمر الله ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه والنوافل تنقطع بموت صاحبها.

ولأن في بقاء العلم إحياء للشريعة وما ينفع الناس دينا ودنيا[6] وكل ما ذكر إنما هو في حق العلماء العاملين الأخيار المتقين لا من طلبه بسوء نية

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ص٥.
(٢) سورة البينة: الآيتان ٧، ٨.
(٣) مختصر كتاب العلم لابن عبد البر، ص٩٦.
(٤) الحديث أخرجه الترمذي، ص٣٢٥.
(٥) سورة فاطر: الآية ٣٢.
(٦) انظر: في هذا تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة، ص١٣.

وخبث طوية أو ليصرف به وجوه الناس إليه أو من أجل مالٍ أو شهرة أو كثرة في الاتباع والطلاب فهذا مذموم وصاحبه ممقوت، وبعد فإن العلم والعمل به صنوان فليس هناك علم بدون عمل ولا عمل بدون علم وهو ممتزج بالأدب والأخلاق وحسن التعامل والتعايش مع العلماء وطلاب العلم ومع الناس أجمعين.

والتربية ـ وكما سنعرض لها إن شاء الله فيما بعد ـ هي العلم أيضاً فلا علم ولا تعليم بدون أخذ جيد بالأسباب التربوية الجيدة الموصلة إلى الهدف المراد والتي تؤهل المعلم لكي يكون قادراً ومتميزاً قام على معاشرة الناس ومعايشتهم بإحسان ولطف ويسر وعلى مواجهة أعباء الحياة ومقاومة صعابها وحل معضلاتها بالحلول الناجعة الناجحة الصادرة عن عقل راجح وعلم كامل وتفكير هادئ قادر بإذن الله على الإلمام بكل المعطيات وقادر على التحليل والتعليل السليم. وحتى تكون تصرفاته وأحكامه وأوامره ونواهيه كمعلم وقدوة صحيحة قائمة على تصور صحيح ففساد التصور وضيق الأفق والبعد عن المسالك التربوية يوقع في الخطأ الفادح[١].

ثانياً: أهمية العمل حالاً ومآلاً:

أسلفت قبلاً أن رسالة المعلم أو عمل المعلم عمل أنبياء وهذا شاهد ومشاهد على مر العصور والأيام فليس هناك أهم من العلم ومجالس العلماء والقيام على إصلاح وتنشئة الشباب والطلاب والأخذ بأيديهم إلى ما يصلحهم قال: ابن عمر مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة[٢] قال: سهل[٣]: من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فاعرفوا لهم ذلك.

وقال الشافعي إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولي،

(١) انظر في هذا المعنى أبو لبابة حسين التربية في السنة النبوية.
(٢) رواه الدارقطني في الأفراد كنز العمال، ٥/ ٢٠.
(٣) هو أبو محمد سهل عبد الله التستري الصالح العابد المشهور قال ابن خلكان لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع توفى سنة ٢٨٣ وفيات الأعيان، ١/ ٢٧٣.

وبالعلم والتعليم يصلح الدين والدنيا ويحفظ العقل ويصان النسب وتحيا النفوس ويزكو المال[1] ولذلك كان من أشراط الساعة نشر الجهل وارتفاع العلم قال ﷺ إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم[2]. ولا أوضح ولا أصرح من قول الرسول ﷺ لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها[3].

وتأتي أهمية المعلم ومكانته وأثره في الحياة حالاً ومآلاً من بعثة الرسل وإنزال الكتب وبمقارنة بسيطة نجد أن التربية الإسلامية تمتد أصولها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتربية لا تمتد إليهم تربية قاصرة. ولذا قلنا نحن المسلمين أصول التربية الإسلامية وإذا كنا نقول اليوم أن أهم لوازم وعوامل التربية الحديثة ـ المنهج والمعلم والكتاب فإن الرسالات وخاتمها محمد ﷺ كانت تقوم على رسول معلم ومنهج لهذه الدعوة السماوية وكتاب منزل من عند الله فنحن عندما نعنى بالمعلم واختياره ونعنى بالمنهج تقديراً وتدبيراً ونعني بالكتاب إعداداً واختياراً فنحن المسلمين نسلك منهج محمد رسول الله في ذلك حيث إننا الآن نملك إرث النبوة ومنهج النبوة وكل ذلك موجود في كتاب الله وصحيح السنة وما بذله أئمة الإسلام وعلماؤه في ذلك ونظراً لأن حياة الأنبياء محدودة بوقت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ فلا بد من أن يأتي معهم ومن بعدهم من يكمل مسيرتهم وينهج منهجهم ويهدي الناس سواء السبيل في أمور الدين والدنيا فمن يا ترى يقوم بذلك؟ إنهم العلماء ورثة الأنبياء والمعلمون الأتقياء الأوفياء النصحاء الذين يتعين عليهم القيام بمهام الرسل وميراث النبوة علماً وخلقاً وسلوكاً وتوجهاً ونصحاً للأمة وكشفاً للغمة، والأمة كما أنها بحاجة إلى الرسل فهي كذلك محتاجة إلى المعلمين وأهمية العمل التربوي حالاً لإصلاح الناس وحفظ أمور الدين والدنيا والتربية الجيدة تتعلق بالمعاش والمعاد لا

---

(١) التربية في السنة النبوية، ص٤١.

(٢) البخاري، ١/١٨٨.

(٣) البخاري، ١/١٧٦، ١٧٧.

بواحد منهما، والمسلم معلماً كان أو متعلماً لا انفصام بين أولاه وآخرته فهو مطالب بأن يحسن في الأولى ليحسن مقامه في الثانية لا سيما وأن طلب العلم ميزة يتميز بها الإنسان ويعرف حاله ومآله وما عليه يعيش مع الناس بحق وصدق وتعامل حسن ولذا كان (طلب العلم فريضة على كل مسلم)(١).

ويتأكد الوجوب في الأمور الشرعية التي لا يمكن للمسلم أن يستغني عنها فكيف يصلي أو يصوم أو يزكي أو يتعامل مع الناس بدون علم، وأهمية عمل المعلم تأتي من كونه يبصر الناس ويهديهم سواء السبيل ويعدهم الإعداد الكامل الشامل للحياة الدنيا ويربطهم ويوجههم نحو الآخرة كما أنه بتعليمه يربط الحاضر بالماضي واللاحق يعلم من سيكون أبا ليعلم من يأتي بعده من بنين وبنات وأحفاد... إلخ.

فهي سلسلة ذهبية متراصة الحلقات هذه أهمية المهنة حالاً ومآلاً فهو قائد فذ يصل الأجيال بعضها ببعض وينقل المعارف والتراث عبر القرون فهذا الطالب اليوم يتعلم وغداً يعلم وهكذا كانت مزية ومكانة العلم والتعليم والمثقفين والمعلمين وإلا أصبح الناس جهالا ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٢). وهذا كليم الرحمن موسى عليه السلام يستغيث بربه أن يكون من الجاهلين ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٣).

وبالمقابل كما أسلفت نجد القرآن يثني على العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٤).

وفي حديث الرسول ثناء على العلم وطلبه وطلابه (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)(٥) قال بعض العلماء ذلك(٦)

---

(١) رواه ابن ماجه باب فضل العلماء والحث في طلب العلم، ١/ ١١ حديث رقم ١٧/ ٢٢٤.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٦٧.
(٤) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٥) رواه ابن ماجه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ١/ ٨١.
(٦) انظر: النسائي كتاب العلم، ص٦.

وأهمية العمل التربوي حالاً لصلاح البلاد والعباد فليس هناك صلاح ولا فلاح بدون معلم الناس الخير حيث المعلم يعنى بسلامة الفكر والمعتقد وتصحيح الأفهام ويقيم اللسان ويوجه نحو الأفضل والأمثل والأكمل ولم تنهض أمة من الأمم قديماً ولا حديثاً إلا بالعلم والمعلمين والمتعلمين والتفوق والتقدم الدنيوي والأخروي إنما يكون بعد توفيق الله على أيدي المعلمين (من علمني حرفاً صرت له عبداً) لماذا؟ لإكمال إحسانه وإنعامه عليك بعد الله قال الإمام الشافعي رحمه الله لا ينبغي لأحد أن يسكن بلدة ليس فيها عالم ولا طبيب لأهمية عمل الاثنين.

والأول هو الأصل إذ لولا المعلم لما كان الطبيب ولا غيره ولو راجعنا أقوال العلماء وكما نشاهد ونعايش، لوجدنا أهمية المعلم وأثره الباقي في حياة الأفراد والجماعات قال أبو يحيى الأنصاري موضحاً كيفية الطلب والتحصيل: (وأن يقرأ على شيخ عارف عالم به أمين ناصح وعلى المتعلم ألا يستبد بنفسه ولا يعتمد على ذكائه)[1] قال الشاطبي مؤكداً قاعدة (العلم لا يؤخذ إلا من أفواه الرجال) وهي قاعدة تربوية هامة وعميقة (المشافهة خاصية جعلها الله تعالى بين المعلم والمتعلم يشهد كل من زاول العلم والعلماء فكم من مسألة يقرؤها المعلم في كتاب ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة وحصل له العلم بالحضرة وهذا الفهم يحصل إما بأمر عادي من توافق الأحوال وإيضاح موضع إشكال لم يخطر للمتعلم على بال وقد يحصل بأمر غير معتاد ولكن بأمر يهبه الله للمتعلم عند مقولة بين يدي المعلم ظاهر الفقر بادي الفاقة إلى ما يلقي إليه وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث وهي من فوائد مجالسة العلماء إذ يفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يفتح له دونهم ويبقى ذلك النور لهم بمقدار ما بقوا في متابعة معلمهم وتأدبهم معه واقتدائهم به فهذا الطريق نافع على كل تقدير[2].

---

(١) اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم وانظر مجلة رسالة الخليج العربي العدد٤، ص٢٠، ٢١.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي، ١/٩٦.

فالمعلم الكفء يصل اللاحق بالسابق ويربط الأجيال بعضها ببعض ويركز العقول ويثبت المعارف ويدفع الشكوك ويزرع الثقة ويهدي الناس سواء السبيل ويعتقد البعض خاطئاً أن القراءة والمطالعة الفردية تكفي وحدها وهذا غلط ظاهر في حال الابتداء وعدم التعمق إلا إننا نستثني حالتين:

أولهما: العلماء ومن في حكمهم أو من وصل مرحلة تؤهله للتحصيل فهذا لا غبار عليه وهو دأب السابقين واللاحقين.

ثانيهما: المطالعة العادية كالصحف والكتب الثقافية والإنشائية وذات البحوث البسيطة في الأدب وبعض قضايا التاريخ والاجتماع وأحوال الناس العامة وكتب الوعظ والإرشاد أو البحوث ذات النظرة السطحية أو الإصلاح الاجتماعي عموماً فهذا قد لا يحتاج إلى متخصص ولا مدرس أحياناً لسهولة المادة وعدم عمق وبعد القضية أحياناً أخرى ويتفرع على هذا أن نجد بعض من قصر باعه والتوى ذراعه يشكك أحياناً في الدراسات العليا ويتحامل على بعض فرسانها بحجج واهية ويدخل لججاً مظلمة وسراديب معتمة والكثير منهم حاول فما ولج فأصبح لديه رد فعل عنيف لكنه بحمد الله ليس مخيفا لضعف حجته وانطماس محجته ولو لم يكن في مثل هذه الدراسات إلا:

١ ـ التخصص الدقيق.

٢ ـ البحث في بطون الكتب.

٣ ـ التعرف على الأشياء والمواقع والرجال والأحوال.

٤ ـ لزوم عالم معين مشهود له بالجدارة يوجه ويرشد ويساعد ويساند وهذا هو شاهد بحثنا هذا في أهمية المعلم ولزوم العالم والأخذ من معينه.

٥ ـ التميز على الأقران غالباً في العديد من المواقف.

٦ ـ هذا توجه عام ولا تجمع الأمة على ضلالة.

٧ ـ ما يشاهد من ضعف البعض لا يكون قاعدة عامة وكل قاعدة لها شذوذ.

٨ ـ البشر لا يطلب فيه الكمال.

٩ - البعض يحسب أن من نال شهادة عالية أصبح محيطاً بعلم الأولين والآخرين ولا يخطيء.

١٠ - وهو المهم تلمس المعايب والمثالب خاصة ممن هم دونهم أو يغارون منهم، لذا كان لزاماً على طالب العلم في شتى مراحله أن يلزم معلماً معيناً.

قال: الإمام الشافعي رحمه الله من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام[١]. وكان العلماء قديماً وحديثاً إذا رأوا رجلاً يشطح في أفكاره غير دقيق في تعبيره وتصويره قالوا فلان لا شيخ له وقد عللت الحاجة إلى المعلم وأهميته بأنه ليس في وسع كل أحد الفهم والتحصيل بدون هاد أو دليل وهو المعلم ثم إن المعلم ذو خبرة ودراية وقدرة وندرة ثم إن المعلم يختصر لك الطريق فما تحاول فهمه في أيام أو شهور يختصر لك في ساعات أو دقائق ومن هنا تتضح الحاجة حالاً ومآلاً كما أسلفت إلى المعلم، إلى علمه، إلى خبرته، إلى مقدرته إلى حيطته وشموله وتجربته قال: ابن خلدون يأخذون أخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً وتارة محاكاة وتلقينا بالمعاشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً[٢] ولا غرو في ذلك فهم مصابيح الدجى وشموس الأزمنة والأمكنة ونقل الغزالي قول بعض المتقدمين (العلماء سراج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره)[٣].

ولا أبلغ ولا أعمق من حديث الرسول ﷺ وهو إمام المعلمين وقدوة المدرسين وأستاذ الحياة حيث يقول: (إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا طمست النجوم أو شك أن تضل الهداة)[٤].

---

(١) ابن جماعة تذكرة السامع والمتكلم، ص٨٧.

(٢) المقدمة، ص٥٤١.

(٣) الغزالي إحياء علوم الدين، ١/ ٨١، وانظر إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية عبد الله عبد الحميد محمود، ص١٤.

(٤) رواه الإمام أحمد المسند، ٣/ ١٥٧.

قال الآجري: (مثل المعلم كمثل رجل عمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء به من مر به وكل يدعو إلى الخير)[1].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ موضحاً الحاجة الملحة والشديدة إلى معلم الناس الخير: (ثلاثة لا بد للناس منهم لا بد من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لقل كتاب الله ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ولولا ذلك لكان الناس أميين»[2].

قال الغزالي لما ذكر أحوال العلم: (العلم يقتنى كما يقتنى المال وله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استيعاب وهو التفكر في المحصل والمتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل فهو الذي يُدعىٰ عظيماً في ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالذي يفيد غيره وهو خال. . . إلخ[3].

وقيل العلم هو ما يؤخذ من أفواه الرجال لأنهم يحفظون أحسن ما يسمعون ويقولون أحسن مايصنعون[4].

ويقول العلماء تأكيداً لأهمية عمل المعلم حالاً ومآلاً لا بد لطالب العلم من تحمل المشقة والمذلة في طلب العلم والتملق مذموم (أي التودد والتلطف) إلا في طلب العلم فإنه لا بد له من التملق للأستاذ والشركاء وغيرهم للاستفادة منهم وقد قيل العلم عز لا ذل فيه ولا يدرك إلا بذل لا عز فيه ويراد بذلك تملق الطالب للأستاذ والشركاء وعرض الاحتياج إليهم في التعلم وهذا الذل الظاهر يؤدي إلى عز أبدي قال الشاعر:

---

(١) انظر: الآجري أخلاق العلماء، ص٥٠.
(٢) آداب المعلمين ابن سحنون وانظر في التربية الإسلامية لأحمد الأهواني، ص٣٥٢.
(٣) إحياء علوم الدين العزالي: ١/ ٩٣.
(٤) تعليم المتعلم طريق التعليم الزرنوحي، ص١٦١.

أرى لك نفسا تشتهي أن تعزها فلست[1] تنال العز حتى تذلها

ومما تقدم يتبين أهمية العلم وأهله العاملين به وأن المعلم هو قوام وعماد العملية التعليمية وأنه لا يقوم مقامه أحد وأن أثره باق ومتلاحق ويتوارثه الأجيال تلو الأجيال.

قالوا الطبيب له فضل فقلت لهم لولا المعلم ما كان الطبيب دري

وهذا ما اتفقت عليه الخليقة سابقاً ولاحقاً وهو الحق الذي لا يسع أحداً سواه.



(١) تعليم المتعلم (المرجع السابق)، ص١٦٣.

صفات المعلم المسلم

مقدمة:

اهتم العلماء المسلمون بذكر أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها المعلم المسلم ومنهم:

١ ــ محمد بن سحنون في كتابه (آداب المعلمين)[١].

حيث أكد على أن من أهم صفات المعلم المسلم: الإخلاص في أداء العمل وعدم الاشتغال عن المتعلمين بما يفوت عليهم المصلحة كما أمر المعلم بالعدل. وجعل ابن سحنون من جملة الصفات المهنية للمعلم أن يراعي أساليب التعليم كالتدرج والاستمرارية والتقويم.

٢ ــ أبو الحسن القابسي في كتابه:

(الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين).

وقد عرض رَحِمَهُ اللهُ صفات المعلم بشكل أكثر تفصيلاً وشمولاً وذكر منها: الرحمة، النزاهة، التدرج في التعليم، إتقان المادة العلمية، العدل، الإخلاص، القدرة على التعليم.

٣ ــ أبو حامد الغزالي في كتابه: (إحياء علوم الدين)[٢].

حيث برزت الصفات التي يراها ضرورية في المعلم كما يلي: الشفقة والرحمة، مطابقة القول العمل، الإخلاص، الصبر التواضع، حسن الخلق.

---

(١) انظر: في أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام.

(٢) انظر: ص٩٣ ـ ١٣١ كتاب العلم.

٤ ـ بدر الدين بن جماعة في كتابه:

(تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم)[١].

ويعتبر هذا الكتاب من أكثر الكتب التي عرضت بالتفصيل صفات المعلم والمتعلم وقد عبر عنها ابن جماعة رحمه الله بالآداب وقسمها إلى عدة محاور تكون في مجموعها صفات وواجبات المعلم المسلم ومن الصفات التي أوردها رحمه الله:

العدل، الرحمة، التواضع، التمسك بالأخلاق الفاضلة، الأمانة، الاهتمام بالتعليم، إخلاص النية، نظافة المظهر، الاقتداء بصاحب الشرع، مطابقة العمل للقول.

وصفات المعلم المسلم في حقيقة الأمر إنما تنطلق أساساً من صفات الرسول الكريم ﷺ الداعية والمعلم الذي استطاع أن يبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة ويعلم المسلمين كل ما يلزمهم من أمور دينهم وما يصلح شأن دنياهم وهي لا تخرج عن كونها صفات للإنسان المسلم إلا فيما يتعلق بمهنة التعليم ويمكن تصنيف هذه الصفات إلى:



(١) انظر: ص١٥ ـ ٦٢.

أولاً: الصفات الإيمانية

إذا كانت صفة الإيمان ضرورية لكل مسلم، فإنها أشد ضرورة بالنسبة للمعلم المسلم الذي يتوقع منه المجتمع أن يساعد على غرس عقيدة التوحيد بين التلاميذ وعلى إرساء قواعد الإيمان الصحيح بين أفراد المجتمع[1]. وصفة الإيمان بالله هي أساس كل عقيدة وكل فضيلة يمكن أن يتحلى بها المعلم أو غيره، وهي الفيصل بين المسلم والكافر وعليها يتوقف قبول الأعمال ومنها تستمد كل الفضائل الأخرى من ثقة وشجاعة وأمل وصبر وبدونها لا ينفع الإنسان أي عمل في الآخرة.

وعندما ننظر في كتاب الله ﷻ نجده قد خص العقيدة باسم الإيمان وقرن به العمل الصالح في أكثر من موضع.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[2].

وفي موضع آخر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[3].

وهكذا ارتبط جزاء العمل الصالح بالإيمان أولاً وقبل كل شيء وفي هذا دلالة على أهمية الإيمان في حياة الإنسان المسلم فبدونه يعتبر العمل غير مقبول.

وتتمثل الصفات الإيمانية للمعلم المسلم في ما يلي[4]:

---

(١) عمر التومي الشيباني: من أسس التربية الإسلامية، ص١١٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٧.

(٣) سورة العصر: الآيات ١ ـ ٣.

(٤) انظر: إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية للدكتور عبد الله عبد الحميد محمود، ص١١٩.

١ ـ الإيمان بما أوجب الله.

٢ ـ مطابقة القول للعمل.

٣ ـ الإخلاص.

أولاً: الإيمان بما أوجب الله:

لقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أركان الإيمان الواجب على المسلم الإيمان بها وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[١].

وقال في الإيمان بالقدر:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[٢].

وهكذا يتبين لنا أن أركان الإيمان ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ولعل من المناسب هنا إبراز بعض ثمرات هذا الإيمان المشتمل على تلك الأركان الستة والتي منها.

١ ــ التقوى.

٢ ــ الجرأة.

٣ ــ الطمأنينة والراحة النفسية.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٨.

١ ــ **التقوى:**

من الآثار التي يحصل عليها الإنسان من كمال إيمانه، زيادة التقوى والحرص على البعد عن المعاصي واجتنابها وجعل النفس في وقاية من الوقوع فيها، وقد جعل الله سبحانه وتعالى خير زاد يتزوده الإنسان في هذه الحياة التقوى فقال عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1].

كما جعل التقوى هي أساس المعاملة بين البشر فقال:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

فلا فضل لأبيض على أسود ولا لعربي على عجمي إلا بالتقوى إذ إنها المعيار الوحيد الذي يمكن أن تتم به المفاضلة بين البشر ولا يقبل الإسلام غيره.

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال سئل النبي ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم»[3].

وتقوى الله هي الملاذ الوحيد للإنسان المؤمن وبها يسهل الله له كل صعب وييسر له بها كل شدة قال تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[4].

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[5].

كما أن الله سبحانه وتعالى اشترط التقوى أولاً لمن أراد أن يكسب العلم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[6].

والمعلم المسلم الذي يعي مسؤولياته في التعليم يدرك حاجته إلى

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري، ٦/ ٤١٤، حديث رقم (١٤/ ٣٣٧٤).

(٤) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٥) سورة الطلاق: الآية ٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

الاستزادة من طلب العلم والحرص عليه، وطريقه الأول إلى ذلك هو التقوى بعد الإيمان.

وقد وعد الله سبحانه وتعالى المتقين في الدار الآخرة الفوز بالجنة والنجاة من النار فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[2].

وتظهر التقوى في سلوك المعلم من خلال إخلاصه في قيامه بالعمل ومحاسبته لنفسه وأدائه لواجباته ورعايته لطلابه، والقيام على تربيتهم وتعليمهم بما يرضي الله سبحانه وتعالى، والعدل فيما بينهم خوفاً منه ﷻ واتقاء لعذابه وغضبه.

٢ ــ الجرأة في قول الحق:

من ثمرات الإيمان الجرأة في قول الحق وإبلاغ الرسالة وتعليم الأمة ما يصلحها دون خوف أو مهابة أو تردد ولقد حث الرسول الكريم صحابته المعلمين على قول الحق وشجعهم على البوح به كما أنه ﷺ كان يأخذ العهد على أصحابه رضوان الله عليهم بالسمع والطاعة وعدم منازعة الأمر أهله وقول الحق دون خوف إلا من الله ﷻ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن ماجه[3] في سننه وغيرهم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً لكم فيه من الله برهان وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم) وقد حفلت

---

(١) سورة الطور: الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٣.

(٣) أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب البيعة، ٢/٩٥٧، حديث رقم (٤١/٢٨٦٦).

سيرة المعلمين من السلف الصالح رحمهم الله بكثير من الآثار التي تدل على تمسكهم بهذا المبدأ ورعايتهم له والحفاظ عليه.

٣ ـ الاطمئنان والراحة النفسية:

إن الإيمان الراسخ القوي سبب من أسباب بعث الطمأنية في نفس المؤمن، فهو يدرك أن كل أمر كائن بإرادته سبحانه وتعالى، وأن الإنس والجن لو اجتمعت لكي تضره فلن يستطيعوا إلا بإذن الله ولو اجتمعت بقصد نفعه فلن يستطيعوا إلا بمشيئة الله تعالى، قال ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾[1].

والاطمئنان لا يكون إلا للمؤمن الذي يذكر الله ويؤدي حقوقه. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾[2].

أما غير المؤمن فإنك تجده دائم القلق كثير الخوف يفكر في مجريات كل الأمور ومسبباتها ونتائجها بشكل يزيد عن المألوف وهذا ناتج عن قلة ثقته بالله ﷻ، فتجده يخشى المسؤول ويخاف منه بحجة أنه قادر على معاقبته أو قطع رزقه أو فصله فيعيش في دوامة لا حدود لها.

لكن المؤمن يعيش في راحة وطمأنينة نفسية تدفعه إلى العمل والعطاء والابتكار.

وإذا كانت تلك بعض الجوانب المهمة من آثار الإيمان فإن المعلم المسلم المؤمن بحاجة إلى القيام بمستلزمات هذا الإيمان المتمثلة في دفاعه عن العقيدة الصحيحة كلما أتيحت له الفرصة كما أن من مستلزمات الإيمان غرسه في نفوس الناشئة وتربيتهم على فهمه والتمثل به وهذا لا يكون في مواد العلوم الشرعية فقط مع أنها المجال الرحب لمثل ذلك إلا أن معلمي بقية المواد لا بد وأن يسهموا في تقوية هذا الغرس من خلال تدريسهم

---

(١) سورة التوبة: الآية ٥١.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨.

لوظائف الأعضاء أو علم النبات أو غيرها من الموضوعات أن يربطوها بالله ﷻ وأنه المبدع والمصور والخالق فيزداد المتعلم إيماناً وتقوى عقيدة التوحيد لديه ولا يجد تناقضاً في ما يدرسه في العلوم الشرعية والعلوم الأخرى. والمعلم الذي يفتقر إلى سلامة العقيدة يؤثر على التلاميذ تأثيراً سلبياً حتى وإن لم يكن معلماً للعلوم الشرعية.

ولقد ذهب علماء الإسلام إلى التحذير من مثل هذا المعلم الذي يؤثر على التلاميذ بأي شكل من الأشكال ووجهوا الآباء إلى أن يختاروا لأبنائهم أورع وأزهد وأتقى المعلمين والمؤدبين واعتبروا ذلك بمثابة رضاع ثان للصبي بعد رضاع الأم.

كما أن من مستلزمات الإيمان الكامل أن يقف المعلم المسلم عند كل العادات والتقاليد المخالفة للشرع ويوضح خطأها أو بطلانها أو مخالفتها لسنة رسول الله ﷺ الذي أوجب الله علينا طاعته والعمل بهديه.

وبهذا تتضح خطورة اختيار المعلمين الذي لا يظهر عليهم سلامة العقيدة وصفاء الفكر الإسلامي، نظراً لما قد يؤثرون به على اتجاهات الطلاب وآرائهم.

ثانياً: مطابقة العلم للعمل:

إن العلم الذي لا ينفع صاحبه لا قيمة له بل قد يكون وبالاً عليه. ولكي ينتفع المرء بعلمه يجب أن يعمل بما علم ليكون فعله مطابقاً لقوله، فمن أمر بخير يجب أن يكون أول عامل به، ومن نهى عن شر يجب أن يكون أول ممتنع عنه، أما من خالف فعله قوله، وخالفت سريرته علانيته فهو ممقوت عند الله وعند الناس[1]. وقد حذر القرآن من ذلك. قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

---

(١) بريكان القرشي: القدوة ودورها في تربية النشيء، ص٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤.

فالله سبحانه وتعالى يصف القوم الذين يخالف فعلهم قولهم بأنهم لا يعقلون، فالعقلاء ليسوا ممن يأمرون بالخير ولا يأتونه ولا ممن ينهون عن السوء وهم يرتكبونه. بل إن العاقل من يضبط سلوكه ولا ينسى نفسه من البر الذي يأمر به سواه[1].

كما ذم اليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يعملوا بها وشبههم بالحمار يحمل الكتب، فقال ﷻ.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[2].

قال القرطبي[3]: ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي لم يعملوا بها. وفي الآية تنبيه من الله لمن حمل الكتاب، أن يتعلم معانيه ويعمل بما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق باليهود.

ولقد حذر الرسول ﷺ المسلمين من مخالفة عمل الإنسان قوله وأكدت السنة على غرس مبدأ مطابقة الفعل للقول لسؤال الله عن ذلك يوم القيامة. عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[4].

فالسؤال حاصل لا محالة، فكم من العلم تعلمه الإنسان وكم من الحجج ستشهد عليه يوم القيامة.

فتأثير المعلم على التلميذ كبير خصوصاً الصغار منهم، لذا وجب عليه أن يحذر من مخالفة قوله عمله، حتى لا يخدش تلك الصورة الجميلة التي يحملها عنه الطلاب، فالذي ينصح التلاميذ بأداء الصلاة في المسجد ثم يتخلف هو

---

(١) أحمد محمد جمال: على مائدة القرآن: دين ودولة، ص١٣٢.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٥.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ٩٤، ٩٥.

(٤) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (سنن الترمذي) كتاب صفة القيامة باب في القيامة، ج٤/ ٥٢٩، حديث رقم (١/ ٢٤١٧).

يترك صورة سيئة عنه والذي يدعو إلى محاربة التدخين وإبراز مضاره ثم يدخن أمام طلابه إنما يشكك في صدق ما يدعو إليه والذي يحث على الصدق والوفاء بالعهد ونجده يكذب ويخلف وعده يهز في نفوس الطلاب كل المعاني الجميلة للأخلاق الفاضلة.

ثالثاً: الإخلاص:

وهوالصفة الثالثة من الصفات الإيمانية وعرفه بعضهم بأنه: (إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة)[١]. وقيل هو: (تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين)[٢]. وقيل الإخلاص: (استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن)[٣].

وقيل هو: (تصفية العمل من كل شوب)[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٥].

والإخلاص مطلوب من الإنسان المسلم في كل عمل يقوم به، يروى عن بعض العلماء قولهم: (طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى)[٦].

وبالإخلاص يكسب المرء القوة من الله والعون منه على أداء الواجب وبفقده يوكل الإنسان إلى نفسه ويصبح عاجزاً عن القيام بعمله، ومن أهم الأمور التي يجب أن نخلص لله النية فيها التعلم والتعليم فطالب العلم إذا قصد بعلمه وجه الله كفاه الله مؤونة نفسه وأعانه على دينه وسهل له ما يحتاج في دنياه، والمعلم الذي يبذل العلم من أجل رضاء الله والدار الآخرة يحميه الله

---

(١) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢/ ٩١.

(٢) ابن القيم الجوزية، ٢/ ٩١.

(٣) ابن القيم الجوزية، المرجع السابق.

(٤) ابن القيم الجوزية، المرجع السابق.

(٥) سورة البينة: الآية ٥.

(٦) الغزالي: أبو حامد: إحياء علوم الدين، ٤/ ٣٧٨.

وينزل محبته في قلوب الناس ويصبح مطاعاً بينهم بإخلاصه وصدق قصده وقد حذر النبي ﷺ أمته من طلب العلم وتعلمه لغير الله فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»[1] والمعلم المخلص لربه المبتغي الدار الآخرة ونعيمها لا ينتظر الشكر من البشر ولا يخاف مراقبة المدير أو الموجه أو المفتش بل إن من دواعي كمال الإخلاص لله تعالى الخوف منه وحده دون من سواه، قال بعض السلف الإخلاص: «أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله ولا مجازياً سواه»[2].

فالمعلم الذي يهتم بالتحضير وإعداد الدروس واختيار الوسيلة وتنفيذها والاهتمام بالطلاب وتعليمهم وغير ذلك لأنه يعرف أن موجها سيحضر إلى المدرسة اليوم أو غداً دون أن يكون ذلك هو دأبه في عمله في كل حين يعتبر ممن فقد صفة الإخلاص لله وإتقان العمل لا يمكن أن يأتي في يوم وليلة ولكنه يحتاج إلى غرس يسقى دواماً من قبل الأسرة والمدرسة والمجتمع ولا يمكن أن نظفر بمعلم يحقق لنا ما تتطلبه هذه الصفة ما لم نحسن الاختيار والإعداد للمعلم.



(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ١/ ٩٣، حديث (٢٣/ ٢٥٣).

(٢) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢/ ٩١.

ثانيا: الصفات الخلقية

إن المعلم المسلم كما يجب أن يكون صالحاً في علاقته مع ربه وخالقه فيتعامل معه على أساس من الإيمان والصدق واليقين القوي الذي يدفعه إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي والتمسك بتعاليم الله عز وجل وعلى أساس من التقوى وحسن المعرفة به وحده وخشيته وتعظيم حرماته والخوف من عذابه والرجاء في رحمته وعفوه، فإن من الواجب عليه أيضاً أن يكون صالحاً في خلقه وعاداته وسجاياه التي يتعامل بها مع الطلاب أو الزملاء أو المجتمع.

فأخلاق المعلم المسلم هي أخلاق إسلامية تستمد قوتها وحسنها وجمالها من الشريعة المحمدية والسلوك النبوي.

فحسن الخلق من الصفات التي أمر بها الإسلام وحث عليها الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي كان يتمثل به سلوكاً ويوصي به أصحابه رضوان الله عليهم، يقول معاذ بن جبل ﷺ، مبعوث رسول الله ﷺ ومعلمه إلى اليمن:

آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز (أحسن خلقك يا معاذ)[1].

وقد ورد في حديث آخر ما يفيد بطيب الجزاء لمن حسن خلقه. فعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق»[2] ومن الصفات التي على المعلم المسلم أن يتصف بها:

---

(١) مالك بن أنس: الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، ٢/ ٩٠، حديث رقم (١/ ١).

(٢) البخاري: محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق ص٤٢.

١ ـ الصدق:

الصدق من الصفات الملازمة للمسلم في كل حين ووقت حتى يستوي السر والعلانية لديه، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله بعض الأقوال في حقيقة الصدق منها: (الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة) وقيل: (الصدق: كلمة الحق عند من تخافه وترجوه) والصدق لا يكون في القول فقط ولكنه في القول والعمل والنية، فصدق القول مطابقته للحقيقة، وصدق العمل أداؤه كما يريد ربنا ويرضي وصدق النية إخلاصها لله عز وجل وهو من هذا المنطلق فرض دائم، قال بعض العلماء: (مَن لَم يؤد الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض المؤقت، قيل وما الفرض الدائم قال: الصدق)[١].

والإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب ولا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر[٢].

آثار الصدق:

١ ـ طمأنينة القلب وراحة البال.

٢ ـ مهابة الناس للصادق، يقول يوسف بن أسباط:

«يرزق الصادق ثلاث خصال، الحلاوة والملاحة والمهابة»[٣].

٣ ـ تمتع الصادق بكامل قواه العقلية حتى آخر عمره، قال مالك بن أنس: «قيل ما كان رجل صادقاً ليس بكاذب إلا متع بعقله ولم يعيبه ما يعيب غيره من الهرم والخرف»[٤].

---

(١) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢/ ٢٧٩.

(٢) ابن القيم الجوزية، المرجع، ٢/ ٢٦٩.

(٣) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢/ ٢٧٧.

(٤) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ٢/ ٧.

٤ ـ كمال الفضل: سئل لقمان ما بلغ بك ما نرى؟ (يريدون الفضل) فقال: «صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لايعنيني»[١].

٥ ـ النجاة يوم الحساب: ورد عن النبي ﷺ قوله: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا».

المعلم والصدق:

إن من أهم الصفات الخلقية التي يجب على المسلم أن يتصف بها (الصدق) في كل أقواله وأفعاله ووعوده. وصدق المعلم يدعو المتعلم إلى الثقة به وبما يقول ويكسبه احترام المتعلمين ويرفع من شأنه في عمله ويتمثل صدق المعلم في مستلزمات المسؤولية الملقاة على عاتقه والتي منها نقل المعرفة بما فيها من حقائق ومعلومات للأجيال فإن لم يكن المعلم متحلياً بالصدق فإنه سينقل لهم علماً ناقصاً ومبتوراً وحقائق ومعلومات مغايرة للصورة التي يجب أن ينقلها. وإذا تعود التلميذ على قبول أي سلوك سيء من المعلم فإنه ربما يستحسن هذا العمل حتى يصبح ملازماً له وهو أمر خطير على المجتمع.

وعلى المعلم أن لا يستهين بطلابه الصغار ويظن أن الكذب عليهم أو تجاهل وعده لهم أمرٌ غير مؤثر بل إن ذلك سيكون له أكبر الأثر في تكوين الاتجاهات السلبية نحو المدرس ومادته كما أنه سيعطي للطلاب صورة مشوهة عن القيم والمبادئ التي يدرسونها إضافة إلى ما يسببه ذلك من تعود الطلاب على الكذب وربما ممارسته مستقبلاً.

ولو زرع المعلم القيم المبادئ الإسلامية في نفوس التلاميذ قولاً وطبقها عملاً لاستطاعت المدرسة أن تكون جيلاً مؤمنا قادراً على حماية المجتمع ورعاية حقوقه ولعل من أبرز ما يصادف المعلم الذي لا يتحرى الصدق مع طلابه ما يلي:

---

(١) مالك بن أنس: الموطأ كتاب الكلام باب ما جاء في الصدق والكذب، ٢/ ٩٩٠.

أ ـ فقدان الثقة من القلوب.

ب ـ ذهاب العلم وانحسار القبول.

ج ـ أن لا يصَّدق حتى ولو صدق.

٢ ـ الرحمة:

الرحمة: الرقة والتعطف وهي كمال في الطبيعة تجعل المرء يشعر بآلام الآخرين ويسعى للتخفيف منها وهي صفة من صفات المولى عز وجل، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة(١).

الرحمة والرفق من صفات المعلم المسلم:

من أولى الناس بالتخلق بخلق الرفق والرحمة الدعاة إلى الله والمعلمون، فالدعوة إلى الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرفق في دعوة الخلق إلى الخالق، وتعليم الناس لا يؤدي ثمراته الطيبة ما لم يقترن بخلق الرفق ليملك القلوب بالرحمة(٢).

والمتعلمون عادة يحبون ويتأثرون بمن يعطف عليهم ويتقبلون ممن يشاركهم وجدانياً ويشعر بمشاعرهم ويحس بأحاسيسهم ويظهر لهم الرحمة والحنان والحب ولين الجانب وحسن المعاملة(٣).

وقد أوصى الرسول ﷺ بالمتعلمين خيراً وما ذلك إلا لفضل مطلوبهم فقال عليه الصلاة والسلام:

«إن الناس لكم تبع وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا»(٤).

ومن حسن رعاية المعلم للمتعلم الرفق به لحديث عائشة أن رسول الله ﷺ

---

(١) محمد الغزالي: خلق المسلم، ص٢٠٣.

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ٢/ ٣٤٠.

(٣) عمر محمد التومي الشيباني: من أسس التربية الإسلامية ص١٤٥.

(٤) الترمذي: أبو عيسى محمد عيسى الجامع الصحيح سنن الترمذي حديث (٤/ ٢٦٥).

قال: «اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»[1].

فالمعلم الذي يفقد هذه الصفة يحرم الخير كما ورد عن جرير بن عبد الله قال: قال: رسول الله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير»[2].

وقد أوصى ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ المعلم:

(بأن يعتني بمصالح الطالب ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه والإحسان إليه).

وإن أخطأ: يوقفه عن ما صدر منه بنصح وتلطف ولا بتعنيف وتعسف.

ورحمة المعلم في التعليم تظهر في عدة مواقف منها:

أولاً: تكليف الطلاب بما يطيقونه من الواجبات.

ثانياً: التلطف والابتسامة والانبساط في الحديث في حدود المعقول والمقبول.

ثالثاً: عدم استخدام الضرب والقسوة معهم في كل الأحوال حتى لا يتعودوا على ذلك ويكون تأثير العقاب غير مجد مستقبلاً.

رابعاً: قبول العذر ممن يقدمه.

خامساً: الرحمة في استخدام العقوبات الإدارية.

الحزم من الرحمة:

إن الرحمة لا تعني بمفهومها ترك الطالب المسيء يعبث في المدرسة ويؤذي طلابها ومعلميها إذ لا بد لمثل هذا الطالب من استخدام أسلوب آخر يتسم بالرحمة أيضاً، ألا وهو الحزم وهو ضرورة لا بد منها لاختلاف الطلاب، فهناك طالب تكفيه النظرة أو الإشارة وآخر يحتاج إلى الكلمة

---

(١) مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحاج: صحيح مسلم حديث رقم (١٩/١٨٢٨).

(٢) مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحاج: صحيح مسلم حديث رقم (٧٤/٢٥٩٢).

وغيرهما من الطلاب لا يجدي معهم إلا العقاب[1] غير البدني وكلمة غير من وضع المؤلف وهكذا. قال سفيان لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال (أن تضع الأمور مواضعها، الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه)[2].

والمعلم في ذلك مثل الوالد الذي قد يوافق على بتر جزء من جسم ابنه لكي يشفى من مرض مزمن. فهل قيام ولي الأمر بمثل ذلك ناتج عن كره أو رغبة في الانتقام أو عن شدة لا مبرر لها؟ أم هو ناتج عن الحب والعطف والرحمة حتى لا يسري المرض في كل الجسد وحتى يشفى السقم بإذن الله وكذلك المعلم عندما يستخدم أسلوب الحزم مع بعض الطلاب فإنه من باب الرحمة بهم والشفقة بحالهم والرأفة بمستقبلهم حتى يعيدهم إلى طريق الحق والهدى والصلاح والعلم وهو من باب الحرص على المصلحة وحسن الرعاية لها[3].

٣ ـ التواضع:

هو من الصفات الحميدة التي يحتاج إليها المعلم المسلم، ولا يستغني عن التحلي به في كل الأحوال كي يستفيد ويفيد ويعرف لغة بأنه: التذلل[4].

يقال تواضع فلان: أي تذلل وتخاشع[5].

وقال بعض السلف: (هو خفض ولين الجانب)[6].

والتواضع من صفات عباد الرحمن الذين ذكرهم الله بقوله:

---

(١) والمؤلف لا يسلم بكل ما ورد فيه خاصة ما يتصل بالعقاب البدني وسنأتي بحول الله على موضوع العقاب البدني في بحث لا حق.

(٢) الغزالي: أبو حامد: إحياء علوم الدين، ٣/١٨٦.

(٣) د: عبد الله عبد الحميد محمود: إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية ص١٧١.

(٤) ابن منظور، محمد مكرم: لسان العرب المحيط (ج٣/ ٩٤٢).

(٥) إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ٢/ ١٠٤٠.

(٦) ابن القيم الجوزية: المرجع السابق.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾(١).

ومن الملاحظ أن الناس يحبون الإنسان المتواضع ويألفونه، ويكرهون المستكبر ولا يألفونه وذلك لأن المتواضع ينزل بنفسه إلى مستوى جلسائه فيعيش معهم بوداعة وانطلاق وتسود بينهم المحبة والألفة والوئام بخلاف الإنسان المتكبر فإنه يرفع نفسه فوق مستوى جلسائه ومحدثيه وينظر إليهم على أنهم أقل منه قدراً ومكانة فيبتعد عنه الناس ويعيش في عزلة وحده لأنه رغب عن أن يكون واحداً منهم غير متميز عنهم مما دعاهم إلى كرهه وعدم مخالطته ويخطئ من يظن أن الوصول إلى الشرف والعزة إنما يكون بالتكبر والاستعلاء على الناس واحتقارهم بل إن التواضع هو السلم الذي يرتقي به الإنسان إلى الكمال وعلو المنزلة والسؤدد والشرف.

يروى عن عبد الله بن المعتز قوله:

(التواضع سلم الشرف)(٢).

التواضع من سمات المعلم المسلم:

إذا كان الإنسان المسلم يحتاج إلى التواضع للنجاح في علاقته مع الله ثم مع المجتمع فإن حاجة المعلم إلى التواضع أشد وأقوى، لأن عمله العلمي والتعليمي يقتضي الاتصال بالمتعلمين والقرب منهم حتى لا يجدوا حرجاً في سؤاله ومناقشته والبوح له بما في نفوسهم لأن النفوس لا تستريح لمتكبر أو متجبر أو مغتر بعمله.

يقول الفضيل بن عياض رحمه الله:

(إن الله يحب العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار)(٣).

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ١/٣٥١.

(٣) ابن مفلح الحنبلي: شمس الدين أبو عبد الله محمد: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ٢/٤٦.

ومثل هذا المعلم المتكبر والجبار هو الذي حذر الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ من الاقتداء بفعله أو الاتصاف بصفته حين قال:

(تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن يعلمكم وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا من جباري العلماء فلا يقوم عملكم بجهلكم)[1].

فالتواضع لا ينقص من قدر الإنسان كما يظن بعض الناس بل إنه من الأمور الضرورية اللازمة للمعلم. كيف لا والمعلم حضر من أجل أن يتم مكارم الأخلاق وهو قدوة في نفسه وفي عمله وتصرفه.

ومن آثار التكبر الذي يصيب بعض المعلمين:

أ ـ جحوده للحق وعدم الخضوع له، والمجادلة بالباطل والتقاعس عن الواجب.

ب ـ الغرور بما لديه من علم مع أنه قليل أو خدمة سابقة أو مؤهل قد يكون ضئيلاً.

ج ـ ترك طلب العلم لظنه أنه قد علم وفهم كل شيء. وهذه بلية البلايا وهذا مما يمنعه من السؤال والبحث والتعلم، استجابة لداعي الكبر والعجب والغرور في نفسه، فيظل على علمه القليل جاهلاً بكثير من الأمور التي يحتاج إليها في التعليم وهذا قد يؤدي به إلى أن يفتى بهواه دون علم حتى لا ينقص في أعين الناس وتهتز مكانته ولذا أطلق المربون على هذه الصفة أمية المتعلمين. ثم إن المعلم المتكبر لا يستطيع أن يصل إلى أهداف التعليم ولا يمكنه تكبره من أن يعرف ما تحقق منها لأنه بعيد عن مخالطة طلابه والدنو منهم حتى يستطيع أن يعرف مشكلاتهم وما يعوق بلوغهم الأهداف التربوية المرسومة وما يحتاجه ذلك من مراجعة للطريقة وترتيب المعلومات وتبسيطها وما إلى ذلك. كما أن الطلاب لا يرتاحون إلى المعلم المتكبر المتغطرس فلا

---

(١) ابن مفلح الحنبلي: نفس المرجع السابق.

يصدقونه مشاعرهم وأحاسيسهم وما يواجهونه من صعوبات، مما يجعل الفائدة التي يحصلون عليها من مثل هذا المعلم قليلة جداً، والكبر من أبرز صفات إبليس. والمعلم الذي يعلم الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة كيف يتصف بهذه الصفة الوبيئة الذميمة.

٤ ـ الصبر:

إن من أهم الصفات التي يجب على المعلم الاتصاف بها ومعرفتها (الصبر) إذ أن العملية التعليمية ليست سهلة حتى يترك أمرها لكل إنسان، وأصل الصبر (المنع والحبس)[١].

وقيل (الصبر شجاعة النفس)[٢] وهو تعريف سديد والنفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة، والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام المتحكم فيها، فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام يساعد على كبح جماحها شردت في كل مذهب[٣] وحقيقة الصبر أنه خلق فاضل من أخلاق النفس يساعدها على الامتناع عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل.

وقد ذكر الصبر في القرآن الكريم في العديد من المواضع كما في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾[٤].

وفي الحديث ينعت الرسول الكريم الصبر بأنه ضياء للصابر فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٥].

---

(١) ابن القيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص١٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة هود: الآية ١١٥.

(٥) مسلم: صحيح مسلم كتاب الطهارة ١/ ٢٠٣ ص١/ ٢٢٣.

والصبر من صفات الرجولة وهي سمة من سمات الأقوياء لأن أعباء الحياة ومتاعبها ومشكلاتها التي لا تحصى لا يطيق حملها الضعفاء وأصحاب البنية الهزيلة فالذي يريد نقل متاع أو أثاث يستأجر له العامل القوي الشديد الذي يستطيع أن يحمله بصبر ودون شكوى وكذلك الحياة لا ينهض برسالتها الكبرى ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال أقوياء وأبطال صابرون لذا كان نصيب القادة والعلماء والدعاة من العناء والبلاء بقدر ما تحملوا من أعباء ومسؤوليات[١].

المعلم والصبر:

لما كان المعلم يقوم بدور لا يستهان به في الحياة وهو إعداد الجيل الذي يتربى على الإيمان وعقائده وعباداته وأخلاقه فإن هذا المعلم يعد قدوة يتأسى به أبناؤه وطلابه وتلاميذه. وما لم يتمرس المعلم بصفة الصبر في طلبه للعلم وصبره على تحصيله فإنه لا يمكنه أن يقدم لأبنائه العلم النافع والزاد المطلوب من الحكمة والأدب وحسن الأسوة. والتعليم في حد ذاته أمر متعب مجهد في جميع عملياته من تحضير وتدريس ومشاركة في النشاط وتصحيح وغير ذلك مما يحتاج إلى الصبر في مراحله المختلفة وهذا بالنسبة لمن يريد أن يعمل بجد وحزم أما المتقاعسون المتخاذلون فكما هو مشاهد أداء رديء وحصيلة أردأ إذا فلا تعب ولا حصيلة.

٥ ــ الأمانة:

الأمانة من الأخلاق الحميدة التي دعا إليها الإسلام وأمر بها القرآن وحث على أدائها الرسول ﷺ وهي ضد الخيانة وحقيقتها أن يعف الإنسان عن أخذ ما ليس له بحق وإن تهيأت له الظروف.

والأمانة مصدر كالأمان وهو ضد الخوف، فحين تنعدم مسببات الخوف يحل الأمان في النفوس.

---

(١) محمد الغزالي: خلق المسلم (ص١٢١).

أمانة المعلم:

لا شك أن من أعظم المسؤولين عن الأمانة هو المعلم، نظراً لخطورة دوره وكثرة مسؤولياته وتعددها، فهو المسؤول عن التربية والتعليم والقدوة والتوجيه وبناء الأجيال وقيادة الفكر، وهو بذلك وريث رسالة النبوة وحامل لواء العلم، لذلك كانت الأمانة المناطة به ليست كغيره فتفريطه في أدائها قد يدمر الأمة ويهدم دعائم النهضة ويسوق المجتمع للهاوية.

فالمدرسة منار إشعاع للعلم والثقافة بعد أن أوكلت الأسرة إليها مسؤولية تعليم الأبناء، والمعلم أقوى مؤثر يعيش داخل المدرسة، فبحفظه للأمانة تنجح العملية التعليمية وتبلغ أهدافها، وبتساهله وخيانته ينتشر جيل من الجهلاء والعاطلين وفاقدي الوعي والهمة.

والمجالات التي يمكن أن تندرج تحت أمانة المعلم كثيرة نختار منها ما يلي:

أولاً: الأمانة العلمية.

ثانياً: حفظ أسرار المتعلم.

أولاً: الأمانة العلمية:

إن أهم جانب يمكن أن تتضح رؤيته ويمكن قياسه وتقويمه في عمل المعلم هو الجانب العلمي الذي يقف به المعلم أمام المجتمع ناقلاً للتراث ومجدداً للمعلومات، ومحافظاً على المبادئ وراعياً لثقافة الأمة عن طريق تربية الأبناء وتعليمهم ما يحتاجونه من العلم والأدب ليكونوا أعضاء ناجحين يدفعون عجلة الرقي والتقدم لأمتهم ومجتمعهم ومسؤولية المعلم في التعليم مسؤولية يدركها حتى الجهلاء من الآباء فهم يسارعون في إلحاق أبنائهم بالمدارس من أجل تحقيق ذلك الهدف. والأمانة العلمية موضوع ذو جوانب متعددة سوف نتناول منها جانبين:

١ ـ الوقوف عند حدود علمه.

٢ ـ إسناد العلم إلى أصحابه.

١ ـ الوقوف عند حدود علمه:

وهو من الأمانة، فعليه أن يقف عند ذلك وأن يقول لما لا يعلم: لا أعلم فليس في العلم خجل ولا كبرياء وحسبه أن رسول الله ﷺ معلم الأمة وقدوتها سئل أمام الملأ عن الساعة فقال بملء فيه: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[١].

فليس عيباً أن يقول العالم أو المربي إذا سئل عن شيء لا يعرف حكمه (لا أدري) وهذا من المبادئ التي يجب على المعلم أن يغرسها في نفوس التلاميذ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٢].

قال الشعبي: (لا أدري) نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري فليس بأقل أجراً لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس[٣]. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: (ليس أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم، يقول انظروا إلى هذا سكوته أشد علي من كلامه)[٤].

والمعلم الجيد هو الذي يعرف قدر نفسه فلا ينخدع بما يقال عنه ولا يركن إلى ثناء أحد عليه ولا يدخله العجب والغرور بما يرى من كثرة طلاب العلم حوله وإذا رأى من جلسائه من يثق به أكثر مما يجب نبهه إلى ذلك وفي هذا يروى عن القاسم بن محمد أنه جاءه رجل فسأله عن شيء فقال: (لا أحسنه) فجعل الرجل يقول: إنما دفعت إليك لا أعرف غيرك فيجيبه القاسم إجابة من يعرف حقيقة نفسه وقلة علمه:

(لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله لا أحسنه) فيزداد الرجل إصراراً وإلحاحاً على أن يفتيه القاسم فيرد عليه العالم الذي يخشى

---

(١) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب الإيمان.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٣) الغزالي: أبو حامد مرجع سابق إحياء علوم الدين.

(٤) الغزالي: أبو حامد إحياء علوم الدين ١/٦٩.

العاقبة ويخاف الآخرة: (والله لأن يُقطع لساني أحب إلي من أن أتكلم بما لا أعلم)[1].

رحم الله سلف هذه الأمة فقد كانوا علماء مهتدين معلمين مؤتمنين مربين مخلصين حافظين لحق العلم وبه عاملون كما كانوا بعيدين كل البعد عن غرور الشيطان وخيانة أمانة الرحمن وما أحوج المعلمين إلى التأسي بهم وترسم خطاهم والسير على منوالهم حتى يخرجوا لنا شباباً يحمل الأمانة كما حملوها.

٢ ـ إسناد العلم لأصحابه:

وهذا أيضاً جزء من الأمانة العلمية وشرط من شروط البحث العلمي فالمعلم يحصل على العلم من خلال ما تعلمه من أساتذته أو ما قرأه من كتب ومؤلفات أو مما فتح الله عليه وأصبح من أنتاجه وتأليفه مستنداً على علم من سبقوه في هذا المجال كما أن ذلك توثيق وتدقيق في المجال العلمي وإسناد الشيء إلى أهله منتهى العلم والدقة والأمانة.

ثانياً: حفظ أسرار المتعلم:

تحدث الشعراء والبلغاء والحكماء والعقلاء قديماً وحديثاً عن حفظ السر بوجه عام وأنه من صفات الكُمّل، من صفات الرجال أهل العقول والمروءات والدين القويم، ولذا حذروا من الحديث في مثل هذه الأمور مع غير الأكفاء أهل العقل والدين والأخلاق الفاضلة.

والنظرة البعيدة:

فلا تفشى سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

فإني رأيت غواة الرجال ... لا يتركون أديماً صحيحا

وقال آخر:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

---

(١) ابن عبد الله: أبو عمر يوسف: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله (٢/٥٣).

هذا ولقد كان العلماء والنبلاء قديماً وحديثاً يشترطون شروطاً معينة ودقيقة فيمن يستودع السر، أهمها: الديانة والأمانة والعقل والحكمة وبُعد النظر والأهلية الكاملة لمثل هذا والمعلم الكفء والذي نتحدث عنه الآن ونتحدث عن صفاته وسماته وسجاياه أهل لحفظ سر المتعلم، والمتعلم بحاجة ملحة وكبيرة إلى من يشاوره ويناصحه ويبدي له أسراره ومعوقات دراسته إن وجدت يشرح له صدره ويبين له عذره ومن واجب المعلم المدرك أن يكون أهلًا لهذه الأمة مدركاً لأبعاد رسالته ونبل مهمته، والإنسان بحاجة كبيرة دوماً وخاصة الشباب والطلاب إلى من يشكو له بعد الله ويبث إليه ويفصح عما لديه بشرط الأمان وحفظ السر ومحض النصيحة.

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة   يواسيك أو يسليك أو يتوجع

والدراسات التربوية الحديثة والقديمة تؤكد وتشدد على وجوب حفاظ هذه الأسرار وعدم بثها أو التساهل في ذلك لاحتوائها على أمور كثيرة وأحياناً خطيرة وخاصةً، يعتبرون ذلك من أسرار المهنة الشريفة ومن مروءات الرجال خاصة طلبة العلم والذين هم أولى الناس بذلك[1] إلا إذا استدعى الأمر البوح ببعض مثل هذه المعلومات وبدقة وحذر ولمن تتوفر فيه الشروط السابقة وبأضيق الحدود طمعاً في مشاركته ومساعدته وتحمسه لقضايا المسلمين خاصة الشباب والطلاب، كما أننا نعلم علم اليقين أن التعاون بين المدرسة النابهة ومدرسيها النابهين وأولياء أمور الطلاب أمر في غاية الأهمية وقد تُحدث عن هذا كثير لكن وبحكم التجربة والممارسة والمعاينة فإنه قليل أو نادر أحياناً والتقصير يأتي غالباً من الجانبين والمدرسون أولى بهذا ولا ييأسون وقد جربت ذلك بنفسي وأتى بخير النتائج، ومن واجب المدرس الكفء والذي نعده لتدريس وتأديب وتربية أبنائنا أن يكون ذا ثقافة واسعة واطلاع كامل ووعي عميق بالطرق التربوية، وأن يكسب ثقة المتعلم ويحسن إليه ويتودد له ما

---

(١) انظر في ذلك: عبد الحميد محمد الهاشمي، التوجيه والإرشاد النفسي ص١٦٣، إعداد المعلم د.عبد الله عبد الحميد محمود ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

استطاع ليتمكن من مساعدته ومعاونته والأخذ بيده كلما كبّاً أو تعثر أو تقهقر يقدم له دوماً النصح الصادق والتوجيه السليم يذكره بأمور دينه ودنياه، يبصره بأمور دراسته و﴿ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وبما سبق وبتوفيق الله يدرك المسألة.

والمشكلة وأسبابها وأبعادها وأطرافها، ويقترح ويشرع في طرق العلاج الممكنة بدون ضجيج أو عجيج أو تهويل متخذاً من الحكمة واللين وتليين المواقف أسلوباً لمعالجته ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾(1)، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(2)، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾(3).

هذه هي الوثائق التربوية الحصينة الأمينة لا ما يلتقط من زبالة القوم أو ما يردده الرعاع والببغاوات أحياناً من أدعياء التربية وهم عنها بعيد، يا حسرة العباد.

* * *

٦ ـ العدل:

العدل من الأخلاق الحميدة التي حث الإسلام على التمسك بها وأمر بإقامتها الشرع وعليه تعتمد نجاح المعاملات والعلاقات بين الناس وبين ولاة الأمر ومن دونهم من الرعية وبين كل مسؤول ومن هو مسؤول عنهم وبه يحصل كل إنسان على كامل حقوقه وما يحتاجه وبدونه يكثر الظلم والتظلم وتنتشر البغضاء ويعم الحقد والفوضى في المجتمعات.

عدل المعلم:

لا شك أن المعلم المسلم مطالب بحفظ رعيته والاهتمام بأفرادها وهم طلبة العلم الذين يثقون بعلمه ويحترمونه ويقدرونه من أجله لذا وجب عليه أن يعلمهم ويعاملهم بالعدل والقسط دون تفضيل متعلم على آخر إلا بما يمكن أن

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

يَفْضُلَ به علماً أو ذكاء وهو بذلك يعتبر نفسه في مقام آبائهم وأولياء أمورهم. إن المعلم من بسطه لجناحه وهضمه لنفسه وعدله بين أبنائه يجعلهم كأنهم في الحب سواء وعدل المعلم بين تلاميذه يظهر في جانبين:

أولاً: العدل في تعليمهم:

إن من خصائص المعلم الجيد العدل في معاملة التلاميذ والبعد عن الهوى في الحكم عليهم والتعامل معهم لأن ذلك يحقق قدراً جيداً من الصحة النفسية المطلوبة لدعم استمرارية التعليم فكلما خلت معاملة المعلم من تفضيل تلميذ عن آخر بغير حق كانت فرصة هذا التلميذ مواتية لكي ينمو نمواً سليماً[١].

ومن هنا اعتبر المعلم الذي يتساهل في أمر العدل بين الطلاب ظالماً ويلزمه بذلك إعادة النظر في ممارسته وسلوكه مع التلاميذ. روي عن مجاهد قال:

(المعلم إذا لم يعدل بين الصبية كتب من الظالمين)[٢].

ويزداد الأمر صعوبة وخطورة إذا كان المعلم قد قوطع على أجرة يحصل عليها مقابل هذا التعليم، لأن إعطاء الأجرة على العمل مدعاة للمحاسبة على أدائه.

يروى عن الحسن قوله:

(إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم ـ أي الطلاب ـ كتب من الظلمة)[٣].

ثانياً: العدل والموضوعية في التقويم:

لم تقف التربية الإسلامية في توجيه المعلم عند حدود مطالبته بالعدل بين الطلاب في التعليم فقط بل تعدت ذلك إلى إرشاده بالقسط في السؤال والتقويم

---

(١) حسن عبد العال: فن التعليم عند ابن جماعة ص١٢٩.

(٢) ابن مفلح: شمس الدين أبو عبد الله محمد: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٨١).

(٣) ابن سحنون: أبو عبد الله محمد عبد السلام: آداب المعلمين في قراءات في الفكر التربوي لمحمد بن ناصر (١/ ٢٠).

والعملية التربوية في مجموعها وأجزائها تحتاج في كل مرحلة من المراحل إلى وقفة يُنظر خلالها إلى ما تحقق من أهداف تعليمية عن طريق الملاحظة والاختبارات التحصيلية الشفوية منها أو التحريرية والمقالية منها أو الموضوعية ويتمثل عدل المعلم في ذلك عن طريق:

١ ـ العدل في توزيع الأسئلة على المتعلمين:

(إذا جرت العادة أن يقوم المعلم بطرح مسائل تتعلق بموضوع الدرس يتحقق بها من فهم طلابه لما شرح)[١]. فلا يختص بمثل هذه المسائل وتلك الأسئلة طلاباً معينين يعرف منهم النجابة والذكاء أو آخرين يظهر عليهم البلادة والكسل فالتركيز على أي منهم وإهمال الآخر يعتبر في حد ذاته مجانبة للعدل.

والمعلم العادل يدرك ذلك تماماً ويطرح الأسئلة على جميع المتعلمين وفي كل مرة يطلب من البعض الإجابة حتى يكون الجميع قد أخذ نصيبه في السؤال والحديث ولهذا دور كبير في إثارة دوافع المنافسة بين الطلاب ومدعاة لاهتمام جميع الطلاب بالدرس خشية أن يطرح السؤال على أي منهم.

٢ ـ العدل والموضوعية في إظهار النتيجة:

حيث تشير الدراسات التربوية إلى أن من أهم الشروط التي لا بد أن يلتزم المعلم بها عند التقويم (الموضوعية) ويقصد بها (عدم تأثر نتائج الاختبار والقياس بالعوامل الذاتية للمقوم)[٢] ويتصل هذا بالعدل اتصالاً وثيقاً فالمعلم الجيد هو الذي لا يحابي أحداً من طلابه أو يؤثره على زملائه بدون حق[٣].

---

(١) ابن جماعة، بدر الدين: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص٥٣.

(٢) فوزي طه إبراهيم: المناهج المعاصرة ص١٢٦.

(٣) حسن عبد العال: فن التعليم عن ابن جماعة ص١٣٠

الواجبات المنزلية

يؤكد كثير من رجال التربية أن من أكثر الأمور أهمية في العملية التعليمية ما يكلف به التلاميذ من واجبات منزلية بين درس وآخر، وهو يعد من الأمور الأساسية بالنسبة للمعلمين والتلاميذ بل قد يمتد الإحساس بأهمية الواجب المنزلي إلى أولياء الأمور ويتمثل هذا الاهتمام في حرص أولياء الأمور على أن يقوم الأبناء بإنجاز ما يطلب إليهم إنجازه في الوقت المناسب والواجب المنزلي قد يكون بشكل قراءة درس ما أو رسم شكل معين أو كتابة موضوع أو عمل بحث قصير أو حل مسائل حسابية وغير ذلك من الأمور التي تهدف إلى التدريب والتمرين والتطبيق وتحقيق بعض الأهداف التعليمية المعرفية أو المهارية. ومن المؤكد أن الواجب المنزلي إذا ما أحسن المعلم التخطيط له وإعداده إعداداً تربوياً جيداً يكون مردوده هو مساعدة التلاميذ على زيادة معلوماتهم وتنمية مهاراتهم فضلاً على إتاحة الفرص الحقيقية للتفكير المتأني والابتكار والتعلم الذاتي.

وممكن أن نلخص أهم وظائف الواجبات المنزلية فيما يلي:

١ ـ تطبيق ما سبق تعلمه.

٢ ـ مراجعة الأفكار الأساسية الواردة في الدرس.

٣ ـ مراجعة ما تم استيعابه وتحصيله في المادة.

٤ ـ إثارة اهتمامات التلاميذ للاستعداد للدرس القادم.

٥ ـ الدراسة الذاتية.

٦ ـ التلخيص.

نصائح وإرشادات يجب على المعلمين مراعاتها عند تقديم الواجب المنزلي إلى التلاميذ:

١ ـ يجب أن يقوم المعلم بشرح النقاط الصعبة أو الغامضة في الواجب المنزلي الذي يكلف به تلاميذه وذلك قبل الانتهاء من الدرس حتى يستطيع كل تلميذ تحديد المطلوب منه بدقة ولأن ذلك يساعد على قيام كل تلميذ بأداء الواجب المطلوب منه على نحو سليم ولأن صعوبة الواجب وغموضه تؤدي دائماً إلى نفور وتخبط التلاميذ أو التقصير في أداءه.

٢ ـ يجب أن يعي المعلم جيداً بأن الواجبات المنزلية هي تكليفات من المعلم لتلاميذه وبالتالي فإن مسؤولية إنجاز هذه الواجبات تقع على عاتق التلاميذ فقط دون تدخل أولياء أمورهم أو أشقائهم أو غيرهم فالهدف أن يقوم التلميذ بالجهد اللازم لحل الواجب بمفرده حتى يستطيع المعلم التوصل إلى الصورة الحقيقية لمستوى تلميذه حتى يقدم له المساعدة المطلوبة وتوجيهه بكيفية التغلب على أي صعوبة تقابله أثناء الحل. لذا فالواجب المنزلي يجب ألا ينظر إليه باعتباره عمل يمثل عبئاً لا يستطيع التلميذ القيام به منفرداً مما يجعله يسعى إلى مساعدة الآخرين.

٣ ـ عدم الإكثار من الواجبات المنزلية إلى جانب الواجبات الأخرى لمعلمين آخرين حتى لا يقضي التلميذ وقتاً طويلاً أكثر من اللازم في إنجاز هذه الواجبات ولأن كثرة الواجبات تؤدي إلى العديد من المعوقات خاصة عند التلاميذ الصغار. لذا يجب أن يكون هناك نوع من التنسيق بين جميع معلمي الفصل الواحد حتى لا يشعر التلاميذ بتراكم الواجبات المنزلية مما قد يعرضهم للفشل في إنجاز المطلوب منهم في الوقت المناسب.

٤ ـ على المعلم مناقشة الواجبات التي تم إنجازها مع التلاميذ وذلك لتنمية مهاراتهم في الإجابة وكذلك للوقوف على مدى قيام التلاميذ بأداء الواجب بجهده منفرداً دون مساعدة الآخرين.

٥ ـ عندما ينجز أحد التلاميذ أو بعضهم بشكل متميز ودقيق يجب على المعلم أن يعرض تلك الواجبات على جميع التلاميذ وأن يثني على الجهد المبذول فيها وهذا يساعد كثيراً على دفع التلميذ إلى بذل المزيد من الجهد ويخلق التنافس الشريف.

٦ ـ ضرورة مناقشة التلاميذ الذين يقصرون في إنجاز الواجبات التي يكلفون بها للوقوف على الأسباب التي أدت إلى تقصيرهم فقد يتعلق بعضها بالتحصيل الدراسي وبعضها بالعزوف عن المادة أو صعوبة الواجب نفسه وعلى المعلم دراسة هذه الأسباب بعمق وهدوء وبدون انفعال حتى يستطيع أن يجد الحلول المناسبة ومحاولة النهوض بهؤلاء التلاميذ.

وإليك بعض المعايير التي ينبغي مراعاتها لتحسين طريقة الإعداد وجودة الواجبات المنزلية:

١ ـ هل يرتبط الواجب المنزلي بأهداف الدرس؟.

٢ ـ هل خططت وأعددت الواجب جيداً؟

٣ ـ هل قمت بالتنسيق مع زملائك المعلمين الآخرين؟

٤ ـ هل قمت بتوضيح عناصر الواجب خاصة الصعوبات التي ستواجه تلاميذك؟

٥ ـ هل شعر معظم تلاميذك بصعوبات عند حل الواجب؟

٦ ـ هل تطلّبَ الواجبُ الاستعانة بالآخرين عند حله؟

٧ ـ هل يتطلب حل الواجب استخدام مصادر أخرى غير الكتاب المدرسي؟

٨ ـ هل تقوم بتشجيع التلاميذ الممتازين في حل الواجب؟

٩ ـ هل تقوم بمناقشة التلاميذ للتأكد من حلهم الواجب بأنفسهم؟

١٠ ـ هل تبين للطالب الجواب الصحيح إذا كانت إجابته خاطئة؟

هذه هي بعض المعايير التي تعتبر أساسية في مجال الحكم على مدى ملاءمة الواجبات المنزلية ومع ذلك فهي ليست نهائية فالمعلم يستطيع أن يضيف إليها أو يعدل بعضها طبقاً للظروف والمتغيرات التي تفرض نفسها على الموقف إذ أن القاعدة في هذا الشأن هي أن المعلم صاحب مهنة ومن حقه بل ومن واجبه أن يحدد وأن يفكر ويبتكر على النحو الذي يكون من شأنه أن يطور الخدمة التعليمية شكلاً وموضوعاً.

ما ينبغي ملاحظته عند تصحيح الواجبات والأعمال التحريرية:

١ ـ يجب أن يكون التصحيح دقيقاً لا أن يكون مهمة روتينية أو جزءاً من العملية المستمرة للتربية.

٢ ـ أن يكون التصحيح بانتظام وعلى فترات متقاربة.

٣ ـ يجب أن يستفيد الطالب من تقويمك وتعليقاتك وملاحظاتك.

٤ ـ شجع بقدر كبير التلميذ المجتهد والمتميز.

٥ ـ عبر عن شكرك وسرورك بالتقدم ولفت النظر إلى التأخر.

٦ ـ ميز بين الأخطار الجسيمة والهفوات الصغيرة.

٧ ـ عود تلاميذك حب النظام ونظافة العمل وحسن الخط.

٨ ـ لا تكتف بمجرد وضع إشارة (√) على العمل دون إمعان النظر فيه.

٩ ـ لا تتجاهل أخطاء الإملاء حتى وإن لم تكن مدرس اللغة العربية.



من هدي النبي ﷺ في التعليم

ما أجمل ذلك الوصف الذي صدر من معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: «فبأبي وأمي رسول الله ما رأيت معلماً أحسن تعليماً ولا تأديباً منه»[١].

بل وهل يظن المسلم أن يوجد أسمى وأعلى وأشرف منه ﷺ معلماً ومربياً؟ بل وهل يظن ظان أن سيرد مشرب التعليم والتربية من غير حوضه أو يدخل إلى ساحة الفناء دون بابه؟

فما أحوج معاشر المعلمين والمربين إلى التماس هديه ﷺ في التعليم والتأسي بسنته. وهل ثمة رمز نتطلع إليه، وموجه نتلقى منه غيره؟ وإليك بعض معالم هديه ﷺ في التعليم.

أولاً: ترغيب أصحابه في العلم:

لا شك أن لذلك الترغيب دوراً كبيراً في إيجاد الحماس لدى طالب العلم للتعلم والاستزادة من ينابيعه فحين جاء ثلاثة نفر وهو جالس مع أصحابه فجلس أحدهم خلف الحلقة والآخر رأى فرجة فجلس فيها وأما الثالث فأعرض.

قال ﷺ بعد ذلك: «أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»[٢].

ثانياً: جمعه بين التعليم والتربية:

فقد وصفه الله ﷻ بذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) رواه البخاري (٦٦).

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[١].

ولذا لم يكن ﷺ يخرج أقواماً يحفظون المسائل فقط، بل ربي أصحابه تربية علمية وتربية جهادية وقيادية وإدارية وقبل ذلك كله تربية إيمانية، فهذا حنظلة رضي الله عنه يحكي عن النبي ﷺ أنه كان يشهد معه مجالس التذكير والعلم فكأنه يرى الجنة والنار[٢].

ثالثاً: عنايته بتعليم المنهج العلمي:

ففي تربيته العلمية لأصحابه ما كان يقتصر على تعليم أصحابه مسائل علمية فقط، بل ربي علماء ومجتهدين وحملة العلم للبشرية ولقد ظهرت آثار هذه التربية على صحابته في مواقفهم بعد وفاته من حادثة الردة وجمع القرآن والخراج وغير ذلك من المسائل التي اجتهد فيها صحابته رضوان الله عليهم فلم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام النوازل التي واجهتهم واستطاعوا أن يتوصلوا فيها للحكم الشرعي كذلك كان نتاج التربية العلمية التي رباهم عليها ﷺ ومن معالم تعليمه المنهج العلمي:

١ ـ كان يعودهم على معرفة العلة ومناط الحكم:

فلما سئل عن بيع الرطب بالتمر، قال: «أينقص الرطب إذا جف» قالوا: نعم، قال: «فلا إذا»[٣] وقد كان معلوماً له ﷺ ولغيره أن الرطب ينقص إذا جف لكنه أراد تعليمهم مناط الحكم.

وحين نهاهم عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها قال لهم: «أرأيت إن منع الله الثمرة فبم يأخذ أحدكم مال أخيه؟»[٤].

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٠).

(٣) رواه أبو داود (٣٣٥٩).

(٤) رواه البخاري (٢١٩٨) ومسلم (١٥٥٥).

وحين قال: «وفي بضع أحدكم صدقه» قالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر» قالوا: نعم، قال: «فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر»[1].

ففي هذه النصوص علم أصحابه علة الحكم ومناطه ولم يقتصر على الحكم وحده.

٢ ـ كان يعودهم على منهج السؤال وأدبه:

ففي موضع يقول: «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته»[2] وفي آخر يقول: «إن الله كره لكم قيل وقال كثرة السؤال وإضاعة المال»[3].

فهنا يذم السؤال لكنه في موضع آخر يأمر بالسؤال أو يثنى عليه فيقول: «ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العيِّ السؤال»[4].

«لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث»[5].

ولا يمكن أن يخلو متعلم من السؤال والحاجة إليه ومن هنا كان عليه أن يتعلم متى يسأل؟ وعم يسأل؟ ومن يسأل؟ وكيف يسأل؟

٣ ـ كان في إجابته لا يقتصر على موضع السؤال بل يجيب بقاعدة عامة:

سئل: إنا نركب البحر ومعنا القليل من الماء فإذا توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر. فلم يقتصر ﷺ في إجابته على قوله نعم، وإلا كان الحكم قاصراً على الحالة موضع السؤال وحدها. إنما أعطاه حكم ماء البحر وزاده

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).
(٢) رواه البخاري (٧٢٨٩).
(٣) رواه البخاري (١٤٧٧) ومسلم (١٧١٥).
(٤) رواه أحمد وأبو داود (٣٣٣) وابن ماجه (٥٧٢).
(٥) رواه البخاري (٩٩).

فائدة أخرى يحتاج إليها حين قال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[1].

ويعني هذا أن ماء البحر له سائر أحكام الماء الطهور، وليس فقط يجوز الوضوء به في هذه الحالة.

وسئل ﷺ ما يلبس المحرم من الثياب؟

فقال: «لا يلبس القميص ولا البرانس ولا السراويل، ولا شيئاً مسه زعفران أو ورس»[2]. فلم يعدد له ما يجوز للمحرم لبسه إنما أعطاه قاعدة عامة فيما لا يحل للمحرم لبسه. ليعلم أن ما سواه غير محظور.

٤ ـ تربيته لأصحابه على منهج التلقي:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[3] وقال: في وصف الطائفة المنصورة: «من كانوا على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[4]. وحين رأى مع عمر صحيفة من التوراة غضب ونهاه عن ذلك وقال: «لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»[5].

٥ ـ تربيتهم على منهج التعامل مع النصوص:

خرج ﷺ على أصحابه وهم يتمارون في القدر هذا ينزع آية وهذا ينزع آية فغضب حتى كأنما فقيء في وجهه حب الرمان من الغضب وقال: «بهذا أمرتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم»[6].

---

(١) رواه أبو داود (٨٣) والترمذي (٦٩).
(٢) رواه البخاري (١٥٤٢)، ومسلم (١١٧٧).
(٣) رواه الترمذي (٢١٥٧).
(٤) رواه أبو داود.
(٥) رواه أحمد (٣/ ٣٨٧).
(٦) رواه أحمد (٢/ ١٩٦) وابن ماجه (٨٥).

٦ ـ تعويدهم على الاستنباط:

سأل ﷺ أصحابه يوماً فقال: «من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، ومثلها مثل المسلم، فأخبروني ما هي؟» قال ابن عمر ـ راوي الحديث ـ فذهب الناس في شجر البوادي (فأردت أن أقول هي النخلة)، وكنت أصغر القوم فاستحييت فقال ﷺ: «إنها النخلة»[١].

فما أحوج الأمة في هذه المرحلة إلى التربي على المنهج العلمي، وعدم الوقوف عند حفظ المسائل المجردة أو الجمود على المتون والمختصرات والحواشي.

رابعاً: تربيته لأصحابه على القيام بواجب التبليغ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[٢].

وقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[٣]. وقال ﷺ: «نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع».

وقد روى هذا الحديث أكثر من (١٦) من أصحابه مما يشعر أنه قاله ﷺ في أكثر من مناسبة. أو قاله في أحد المجامع العامة تأكيداً لشأنه.

خامساً: تشجيع الطالب والثناء عليه:

سأله أبو هريرة رضي الله عنه من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال ﷺ: «لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما علمت من حرصك على الحديث»[٤] فتخيل معي أخي القاريء موقف أبي هريرة وهو يسمع هذا الثناء وهذه الشهادة من أستاذ الأساتذة وشيخ المشايخ ﷺ بحرصه على العلم ـ بل

---

(١) رواه البخاري (٧٢).
(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٥١).
(٣) رواه البخاري (٣٤٦١).
(٤) رواه البخاري (٩٩).

وتفوقه على الكثير من أقرانه وتصور كيف يكون أثر هذا الشعور دافعاً لمزيد من الحرص والاجتهاد.

وحين سأل أبي بن كعب «أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم» فقال أبي: آية الكرسي، قال له ﷺ: «ليهنك العلم أبا المنذر»[1].

سادساً: العناية بالمتعلم:

فقد كان ﷺ يحدث أصحابه فجاء رجل فسأل عن الساعة فمضى في حديثه، فقال قوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال قوم لم يسمع، ثم سأل أخرى متى الساعة؟ فمضى في حديثه فلما انتهى من حديثه قال: «أين السائل عن الساعة» فقال أنا فقال ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: وما إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[2].

فهو ﷺ رغم أنه لم يقطع حديثه لم ينس هذا السائل ولم يهمله. وحين خطب في حجة الوداع قال أبو شاة اكتبوا لي قال ﷺ: «اكتبوا لأبي شاة»[3].

سابعاً: معرفة قدرات تلامذته وإدراكهم العقلي:

فهو يقول لأبي هريرة حين سأله عن الشفاعة: «لقد ظننت أن لا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما أعلم من حرصك على الحديث»[4].

فهو ﷺ يعلم أن تلميذه أبا هريرة ﷺ من أحرص أصحابه على الحديث ويظن أن يسبقهم بالسؤال ويقول ﷺ:

«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح»[5].

---

(١) رواه مسلم (٨١٠) وأحمد (٥/ ١٤٢).
(٢) رواه البخاري (٥٩).
(٣) رواه البخاري (١١٢).
(٤) رواه البخاري (٩).
(٥) رواه الترمذي (٣٧٩٠).

أفليس هذا مظهراً من مظاهر إدراكه ﷺ لمدارك واستعدادات أصحابه؟

أفلا يجدر بمن يتأسى بمنهجه، ويقتدي بهديه في التعليم أن يعني بالتعرف على قدرات تلامذته ومدى حرصهم، واستعدادهم؟

ثامناً: مراعاة الفروق الفردية:

كما ورد «أنه كان ﷺ يخطب فدخل رجل فقال يا رسول الله رجل غريب يسأل عن دينه فترك ﷺ خطبته ودعا بكرسي فجلس يعلمه ثم عاد لخطبته»[١].

فالناس معادن وقدرات وطاقات متفاوتة حرصاً وذكاء واستعداداً، وتحصيلاً. والمعلم يتعامل مع الجميع ويخاطب الكل وهنا تكمن مهارة الأستاذ في إقناع الجميع وتحقيق التوازن بينهم.

تاسعاً: التوجيه للتخصص المناسب:

«روى البخاري تعليقاً والترمذي عن زيد بن ثابت ﷺ أن قومه قالوا للنبي ﷺ هاهنا غلام من بني النجار حفظ بضع عشرة سورة فاستقرأني فقرأت سورة ق، فقال: «إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا فتعلم السريانية» فتعلمها ﷺ في سبعة عشر يوماً وفي رواية خمسة عشر»[٢].

والأمة أحوج ما تكون إلى طاقات أبنائها وقدراتهم أليس من حق الطالب على أستاذه أن ينصح له ويوجهه لما يناسبه حين يبدع في فن دون غيره وأين يبدأ التوجيه إن لم يكن من التعليم.

عاشراً: التشويق والتنويع في عرض المادة:

فهو أحياناً يطرح المسألة على أصحابه متسائلاً: «أتدرون ما الغيبة؟»[٣].

«أتدرون من المفلس؟»[٤] «من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثلها

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري تعليقاً (٧١٩٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٧٤).

(٤) رواه مسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨).

مثل المسلم فأخبروني ما هي؟»[1] ولا شك أن السؤال مدعاة للتفكير وتنميته، ومدعاة للاشتياق لمعرفة الجواب مما يكون أرسخ في الذهن.

وأحياناً يغير نبرات صوته فكان إذا خطب علا صوته واحمر وجهه كأنه منذر جيش وأحياناً يغير جلسته، كما في حديث أكبر الكبائر وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور»[2]. فمن هذا الهدي النبوي ـ يجب على المعلم والمربي الذي عهدنا إليه بتربية الأجيال أن يقتدي ولا يحبس نفسه في إطار وقالب جامد وأسلوب رتيب يتبع الإلقاء وسيلة لتوصيل المعلومات ولا يهتم إذا كان أسلوبه مملاً أو شيقاً ومتنوعاً.

الحادي عشر: استغلال المواقف في التعليم:

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان مع أصحابه يوماً؟ وإذا بامرأة من السبي تبحث عن ولدها فلما وجدته ضمته فقال ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟» قالوا لا، قال: «والله لا يلقي حبيبه في النار»[3].

وحين رأى شجرة تحاتت أوراقها شبه لهم ذلك بالذنوب وتحاتها عن العبد، وحين رأى جيفة حمار قال لرجلين من أصحابه اغتابا ما عزا «انزلا فكلا من هذا الحمار والله للذي نلتما من عرض أخيكم آنفاً أشد من ذلك».

فلا يستوي أثر المعاني حين تربط بصور محسوسة، مع عرضها في صورة مجردة جافة.

الثاني عشر: استعمال الوسائل التعليمية:

١ ـ يشير ﷺ تارة كقوله: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»[4] وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً.

---

(١) رواه البخاري (٧٢).
(٢) رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).
(٣) رواه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤).
(٤) رواه البخاري (٥٣٠٤).

وقوله: «الفتنة هاهنا من المشرق حيث يطلع قرن الشيطان»[١] وأشار بيده إلى المشرق.

٢ ـ وتارة يضرب المثل، مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان بعضهم أسفلها وكان بعضهم أعلاها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً فلم نؤذ من فوقنا، فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجواجميعاً وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً[٢]، وكما في قوله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على دابته وقد أضلها في أرض فلاة وعليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت فقام فإذا هي عند رأسه»[٣].

٣ ـ وتارة يستعمل الرسم للتوضيح فقد خط خطاً مستقيماً وإلى جانبه خطوط، وقال: «هذا الصراط وهذه السبل»[٤].

ورسم مربعاً وقال: «هذا الإنسان. . .»[٥].

٤ ـ وأحياناً يحكي قصة واقعية من الأمم السابقة، فكما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدعوا الله بصالح أعمالهم»[٦]، وقصة الذي قتل تسعة وتسعين نفساً[٧] وأمثالها كثير.

٥ ـ وأحياناً يربط المعنى المعقول بالصورة المحسوسة فينظر مرة إلى القمر ليلة البدر ثم يقول: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»[٨]، فاستعماله ﷺ لما أتيح في عصره من وسائل يعني لنا

---

(١) رواه البخاري (٧٠٩٢) ومسلم (٢٩٥).
(٢) رواه البخاري (٢٤٩٣).
(٣) رواه البخاري (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤).
(٤) رواه البخاري (٦٤١٧).
(٥) رواه البخاري (٦٤١٧).
(٦) رواه البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٤٣).
(٧) رواه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).
(٨) رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣).

أن من تمام الاقتداء بهديه ﷺ أن نستعمل خير ما تفتق عن العصر من وسائل وأساليب حديثة في التربية والتعليم ما دامت مباحة.

الثالث عشر: تأكيد ما يحتاج للتأكيد:

فقد حلف ﷺ على مسائل كثيرة تزيد على الثمانين والله لا يؤمن.... والذي نفسي بيده.... وايم الله.... وغيرها كثير وكرر بعض العبارات كقوله: «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها....

الرابع عشر: مراجعة العلم والحفظ:

فقد أوصى ﷺ حفاظ القرآن بتعاهده والعناية به «تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها»[1].

«وكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان»[2].

وحين علم البراء دعاء النوم قال ﷺ: «أعده علي» فقال: وبرسولك الذي أرسلت فقال ﷺ: «بل وبنبيك الذي أرسلت»[3].



(١) رواه البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩١).
(٢) رواه البخاري (٤٩٩٧).
(٣) رواه مسلم (٢٧١٠).

ما يجب أن يتجنبه المدرس

١ ـ الاستكبار عن قبول الحق:

قد يكون لدى أحد الطلبة علم في مسألة معينة ليس عندك علم بها أو سمع فيها ما لم تسمع أو يتضح لك بعد النقاش أن الحق بخلاف ما قلته فهل فكرت في كسر حاجز الهوى وقبول الحق والانتصار على الوهم الذي يوحي إليك أن هذا يغض من شأنك، بل فيه الرفعة والثقة، فالناس كل الناس يدركون أنه لا كمال لبشر وأنه ما من أحد من كبار أهل العلم إلا وتغرب عليه شاردة أو واردة، فكيف بي وبك، بل إن الاعتراف بالحق يزيد تلامذتك ثقة أنك لا تقول إلا ما تعلم ولا تنطق إلا بما توقن. لذا فيعد الإمام النووي من صفات المعلم أن «لا يستنكف عن التعلم ممن هو دونه في سن أو نسب أو شهرة أو دين، أو في علم آخر بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده وإن كان دونه في جميع هذا»[١].

٢ ـ الفتيا بغير علم:

ما أكثر ما يأتيك أخي المدرس السؤال والاستفتاء من طلبتك فهل روضت نفسك على أن تقول لما لا تعلم لا أعلم؟ فمن حرم لا أدري أصيبت مقاتله وهل وضعت نصب عينيك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٢].

---

(١) المجموع شرح المهذب (١/ ٢٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[١].

وأجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً كما قال: سحنون.

ولذا يوصيك ابن جماعة بذلك فيقول: (واعلم أن قول المسؤول لا أدري لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة، بل يرفعه لأنه دليل عظيم على عظم محله، وقوة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه وكمال معرفته وحسن تثبته وقد روينا معنى ذلك عن جماعة من السلف، وإنما يأنف من قول لا أدري من ضعفت ديانته وقلت معرفته لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين وهذه جهالة ورقة دين وربما يشهر خطأه بين الناس فيقع فيما فر منه ويتصف عندهم بما احترز عنه، وقد أدب الله تعالى العلماء بقصة موسى مع الخضر حين لم يردّ موسى عليه السلام العلم إلى الله تعالى لما سئل هل أحد في الأرض أعلم منك[٢].

٣ ــ استخدام الطلبة في الأمور الشخصية:

ألا ترى أنه مما لا يليق بالمدرس أن يستخدم طلابه في أموره الشخصية، ويكلفهم بها مهما هانت؟

يجيبنا على هذا التساؤل الحافظ ابن جماعة فيقول: «وكذا ينزهه ــ علمه ــ من طمع في رفق من طلبته بمال أو خدمة أو غيرهما بسبب اشتغالهم عليه وترددهم إليه»[٣].

اللهم إلا أن تكون حاجة عامة غير شخصية وفي اشتغالك بها تضييع لوقتك وهذا الطالب من خاصتك فلا حرج حينئذ بل إنه يتشرف بخدمتك، ما دام يشعر أن ذلك ليس لشخصك فقط.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٦.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم (٤٢ ـ ٤٣).
(٣) تذكرة السامع والمتكلم (١٩).

٤ ـ كثرة المزاح:

لا شك أن الترويح والدعابة اللطيفة وإذهاب الملل أمر مطلوب وقد كان ﷺ يداعب أصحابه ولا يقول إلا حقاً[١].

لكنه حين يكثر يصبح له أثر آخر يحذرك منه الخطيب البغدادي قائلاً: «يجب أن يتقي المزاح في مجلسه فإنه يسقط الحشمة، ويقل الهيبة وساق بإسناده إلى الأحنف بن قيس قال: قال لي عمر بن الخطاب: يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن أكثر من شيء عرف به، ومن مزح استخف به»[٢].

٥ ـ الوقوع في مواطن التهم:

المرء مسؤول عن نفسه. وعليه أن يبعد نفسه عن مواضع التهم كما قال ابن جماعة: «وكذلك يتجنب مواضع التهم، وإن بعدت، ولا يفعل شيئاً يتضمن نقص مروءة أو ما يستنكر ظاهراً وإن كان جائزاً باطناً، فإنه يعرض نفسه للتهمة، وعرضه للوقيعة ويوضع الناس في الظنون المكروهة، وتأثيم الوقيعة فإن اتفق وقوع شيء من ذلك لحاجة أو نحوها، أخبر من شاهده بحكمه وبعذره ومقصوده كيلا يأثم بسببه أو ينفر عنه فلا ينتفع بعلمه».

ولذلك قال النبي ﷺ للرجلين لما رأياه يتحدث مع صفية فوليا: «على رسلكما إنها صفية» ثم قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فخفت أن يقذف في قلوبكما شيئاً»[٣][٤].

٦ ـ سرعة الانفعال ولغة التهديد:

على المدرس أن يرعى حسن الخلق وطيب التعامل وعليه كذلك أن يترفع عن سرعة الانفعال وشدة الغضب، وأن يستبعد لغة التهديد فبعض المدرسين

---

(١) رواه الترمذي (١٩٩١) ورواه أيضاً في الشمائل (٢٠٢) وقال حسن صحيح.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي ـ وآداب السامع (٢/ ٥٠).
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) تذكرة السامع والمتكلم (١٩، ٢٠).

يتعامل مع الطلاب بلغة العسكر والاستبداد. ومن أسوأ الأساليب التي لا يجني منها المدرس إلا الكراهية من طلابه بل استخفافهم وسخريتهم، من هذه الأساليب التهديد بما يعلم الطلاب أنه لن يفعله وعناية المدرس بانضباط الفصل وهدوئه ينبغي أن لا تكون على حساب التربية وعلاقته مع الطلاب.

٧ ــ السخرية من الطالب واحتقاره:

يقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

ويقول ﷺ: «بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[2].

لقد جمع الله ﷻ بين قلوب عباده المؤمنين بجامع الأخوة، وربط بينهم برابطة التقوى، تلك الأخوة والرابطة التي تذوب عندها كل الفواصل الأرضية والنعرات الجاهلية، تلك الرابطة التي يستوي فيها الصغير والكبير والشريف والوضيع.

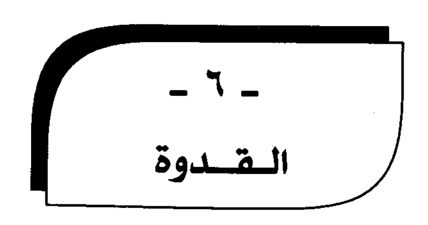
أيها المعلم: أليس من الإخلال بالأدب الذي أدبنا الله به في كتابه، ومن ارتكاب الشر الذي نهانا عنه ﷺ أن نحتقر الطالب ونسخر منه، فنحرجه أمام زملائه؟ فقد يجيب إجابة ناقصة أو يسأل سؤالاً أو يقع في خطأ ما. فهل يعني هذا أن نمرغ كل معاني الخلق الفاضل لنوجه له سخرية لاذعة؟.

إن إيغار صدره على أستاذه، ورده لما يسمع منه ومشاركة سائر الطلبة له مشاعر السخط كل ذلك نتيجة منطقية وبديهية لأسلوب السخرية الذي يمارسه البعض فهل أدبنا أنفسنا بالأدب الشرعي ووزنا ألفاظنا قبل أن نتفوه بها؟

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤).



أوضحت في مقال سابق شيئاً عن القدوة وأثرها وأهميتها بالنسبة للناس بعامةٍ والشباب بوجه خاص وإضافةً لما سَبَقَ أقولُ:

إن حب التقليد والمحاكاة سبب رئيس وهام في تكوين وتأصيل العادة عند الصغار، والطفلُ الأكثر ذكاءً والأقوى ذاكرةً يتعودُ بشكل أسرع، وذلك لأنه يتعلم ويفهم أسرع من غيره، إذاً الشبابُ مقلد بطبعه وهذا هو واقع الحال لأهله وذويه وأترابه ومعلميه ولمن حوله إذاً علينا الاهتمام بذلك، بمعنى أننا إن أردنا تربيةً جيدةً وأن ينشأ الطفل متحلياً بالعادات والطباع الجيدة، والأخلاق الحميدة والصفات المرضية كان لزاماً علينا أن نوجد له الأسوة الحسنة، والشباب بما وهبه الله من صفات ينطبع في حسه ووجدانه كل ما يحدث أمامه دون توجيه من أحد حيث التقليد والمحاكاة غريزة طبيعية فيه ولقد صور هذا المعنى وأجاد شاعر عربي فقال:

مشى السرطان يوماً باعوجاج ... فقلد شكل مشيته بنوه
فقال علام تنحرفون قالوا ... بدأت به ونحن مقلدوه
وينشأ ناشيء الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

والمثل الأعلى الذي جاء به الإسلام هو الصيغة الجديدة والوحيدة والفريدة، وليس هو بمسبوق ولا ملحوق في هذا بحال من الأحوال حيث انتهت تماماً مراحل الطفولة العقلية للإنسان، وأصبح مؤهلاً لحمل أعباء هذه المرحلة، مرحلة النضج العقلي، والمسلم في بناء شخصيته لا يبدؤها من عدم كما أنه لم يبدأ أساسها الأول من عدم أيضاً، وواجب المسلم، اقتداء

واهتداء، السير على منهج رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، هذه هي التربية المثلى للصغار والكبار ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1] فهو ﷺ مثابةَ الأمانِ للمسلمين ومصدرَ الثقةِ والإطمئنان والقدوةِ الطيبة على الدوام، وإذا تتبعنا أنماطَ الأسوةِ الحسنةِ لنتخذ منها منهاجاً ونبراساً في بناءِ الشخصيةِ المعتدلة، فإننا سنجد في رسول الله ﷺ بغيتنا وضالتنا، سنجد صفاتٍ وسماتٍ هائلة ومثاليات نادرة سنجدُ أحوالاً فَذّةً كلُها تتسم بالحق والصدق، والسمو والاعتدال وبها وحدها لا بغيرها نرى أثر الشخصية التي أراد الله أن تكون المثال والقدوةَ المثلى والتي تمد الحياة الصحيحة بضوءٍ كاشف لتمضي الحياةُ المرادة وفق سننِ الله على رشدٍ وهدى فلا تتعثر ولا تترنح ولا تتأرجح ولا تحيدُ ذات اليمن أو ذات الشمال ولا تجمح ولا تسرح في الدروب المظلمة والسراديب المعتمة، وإنما تتجمع قواها كلها وتتخلص في اتجاهها لله رب العالمين ومثال الصحبة الخالصة صحبةُ الأخيار ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2] والقدوة الصحيحةُ من أساليب التربية الإسلامية الحميدة، وهي تفُوق وتَتَقدم كلَّ الأساليب الأخرى فهي تؤدي بالنهاية إلى التربية السليمة عملياً وهي أسلوبٌ عمليٌ واقعي مشاهدٌ ينبع من فطرة الناس الأصيلةِ في التقليد والمحاكاة، وإذا كنا نعلم عِلمَ اليقين أن النفس بما أودع الله فيها من سر عظيم لديها استعدادٌ تامٌ للتقوى والصلاح والعفةِ والفجور والخير والشر، فإن للقدوة الحسنة أثرها البالغ في التقوى والسموِ والارتفاع بالقيم والمبادئ الأخلاقية الصحيحة، والمعلم المسلم ذو إرثٍ جيدٍ يصلحُ الحياة والممات، يعمر الآخرةَ والأولى، قدوته الرسل والأنبياء الكرام والأئمةُ الأعلامُ يستنير بقولهم ويقتفي أثرهم، فلقد كانوا يأمرون أممهم بما

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

يصلحهم ويطبقون أقوالهم قولاً وفعلاً سلوكاً وعملاً، قَدّموا لأممهم الأسوةَ المثلى والقدوة الكريمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[1] وتكرير اسم الإشارة مرة ثانية لتأكيد تمييز المشار إليه ولما يقتضيه التكرير من الاهتمام بالخير، وهذه القدوة العظمى تؤكد أن المؤمن عميق الأصول والجذور نقي البذرة فرع منبثق من شجرة كريمة ثابتة، أصلها ثابت وفرعها في السماء إنها شجرة متينة سامقة ضاربة الجذور في أعماق الفطرة البشرية الصحيحة فهذا الرهط الكريم هم القدوة وهم الأسوة يقودون موكب ومركب الإيمان، وهم الذين هداهم الله، وهداهم الذي أعطاهم الله إياه فيه أعظم القدوة والأسوة لمحمد ﷺ ولأمته إلى قيام الأشهاد فاجتمع له ﷺ ما كان متفرقاً في الأنبياء قبله من الأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مخصوصون بالهدى، لأنه لو هدى جميع المكلفين لم يكن لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ فائدة تخصيص، والاقتداء في اللغة إتيان الثاني بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله وقال الكسائي يقال قُدوة، وقِدوة، وقال العلماء المتخصصون الهدى ضد الضلال وهو يطلق في مقام الدين على الطريق الموصل إلى الحق وهو الصراط المستقيم الذي يطلبه المسلم دوماً خاصة في صلاته ومناجاته، يطلب دوماً له ولأهله ولسائر المسلمين سلوك ذلك الطريق الكريم كما يطلب دوماً الاستقامة في السير عليه، قال الراغب، الهدى والهداية في موضوع اللغة واحد ولكن قد خص الله ﷻ لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو به دون ما هو إلى الإنسان اهـ.

قال الزمخشري: اختص هداهم بالإقتداء، ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول، والمراد بهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين... اهـ وأشار بهاء السكت ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ التي هي أمارة الوقوف وهي ثابتة في جميع المصاحف ـ إلى أن الاقتداء بهم كان غير محتاج إلى شيء.

---

(1) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

إذ أنه هو الأصل والفطرة، ومن عداهم ولم يستن بسنتهم فلا يعول عليه في شيء أصلاً، وما دمنا بصدد الحديث عن القدوة وأثرها في الناس بعامة فإنه يحسن الحديث هنا عن أثرها الكبير بين طرفي العملية التعليمية المعلم والطالب حيث المعلم الكفء، القدوةُ الحسنة أقرب إلى نفس الطالب وروحه، وتأثيرُ المعلم في طلابه أشد، وصفاته الجميلة وتعامله الكريم كلها عمليات جذب كبير، والقدوة كما هو بينٌ أثرها عفوي وغير مباشر، وعلى المربين الكرام أن يُلاحظوا ذلك جيداً فيضبطوا سلوكهم ولا يظهروا لطلابهم إلا بمظهر الحق والجد والسلوك الحسن مع الحنكة والرأفة والرحمة وحب الخير والصلاح والإصلاح، والمواقف التربويةُ الجيدة في إرثنا الكريم منهج سلفنا الصالح كثيرةٌ وعديدةٌ، وخيرُ المواقف التربوية العظيمة تؤخذ من سيرة الرسول ﷺ وكيف أسَسَ اللَّهُ على يديه في فترةٍ قصيرةٍ جداً من عمر الأمم دولةً عظيمة الجانب مهيبةَ السلطان، فهو قدوةٌ في نفسه، في حركاتِه، في تعاملِه وإليك البيان، ثمامةَ بن أثال العربيُ القحُّ الذي لم تَشُبْ عروبته وأصالته شائبةٌ يحبسُ في المسجد ثلاثةَ أيام يشاهد الرسولَ ﷺ وصحابته من حوله، يشاهد الحبَّ الصادقَ والولاء الخالصَ، غير المشوب برياءٍ أو نفاقٍ أو تملق كاذب أو تلون خادع، فلما فُكَّ أسارهُ وخرج من المدينة فاغتسل وعاد معلناً إسلامه بشمم وكرم ثم قال والله يا رسول الله لقد قدمت عليك وما في الأرض وجه أبغض إلي من وجهك ولا دين أبغض علي من دينك ولا بلد أبغض إلي من بلدك وما أصبح على وجه الأرض أحب إلي من وجهك ولا دين أحب إلي من دينك، ولا بلد أحب إلي من بلدك، وهكذا فعلت القدوة الصالحة وأينعت وأثمرت بلا ضجيج، إذاً فالفعال بها تقاس الرجال لا القيل والقال، ومثال آخر بهي من مدرسة محمد ﷺ هو عمر بن الخطاب الخليفة الراشد، كان رضي الله عنه إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله ثم قال إني قد نهيت الناس عن كذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت عنه الناس إلا أضعفت له العقاب لمكانه مني، فمن

شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتأخر، ولقد أجاد أبو العتاهية حيث قال:

وإذا بحثت عن التقى وجدته رجلاً يصدق قوله بفعال

وليكن ختام القول هنا كلام عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده حيث قال: (وليكن أول ما تبدأ به إصلاح بني إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت)، وهي وثيقة تربوية هامة والله المعين.



- ٧ -
القدوة المثلى

تظهر روافد القدوة في كل من له أثر في تربية وتعليم النشيء، وهذه الروافد كثيرة وكبيرة ومتعددة فهي عند أصحاب الاختصاص تتمثل في البيت، والمدرسة، وتتمثل في كل من له صلة بالعمل التربوي والتعليمي في مختلف المستويات، وإذا كانت التربية (كما يقول خبراؤها المعتد بقولهم) تربية ممتدة، بمعنى أنها في العمل كله لذا فإن التربية الإسلامية المثلى ذات الأصول الثابتة والفروع المثمرة تقف في حياة المسلم في كل لحظة أو ومضة، تقف نصب عينيه حارساً يقظاً يدفع وينفع ويرفع، وهي تعني يقظة الضمير وحياته، تعني تربية الضمير، ورقابة الله ﷻ في السر والعلن، والإسلام يؤكد ويقرر أن يكون المسلم قدوة صالحة في نفسه حتى يعكس صورة دينه للناس أجمعين، وخاصة غير المسلمين، لأنه داعية في نفسه قبل قوله، ليبين بوضوح جدوى التربية الإسلامية وتفوقها على غيرها، وأنها الأقدر على البقاء والثبات والنماء والوفاء بمتطلبات الحياة، وما عداها من ألوان التربية الوافدة تمحى من خلال اقتدائنا وتأسينا بكتاب ربنا وسنة نبينا ونهج سلفنا الكرام ورجل التعليم الكفء لا بد أن يكون قدوة حسنة أمام طلابه وزملائه ومعارفه وأحبابه، فهو لا يلقنهم موضوعات التعليم فحسب، بل ويلقنهم القيم الخلقية والتعاليم الربانية من خلال كده وجده وبذله وتفانيه في سبيل العلم والمعرفة، والعمل على إفهامه وتقريبه للناس أجمعين واحتياج الناس أجمعين إلى القدوة المثلى وخاصة الشباب والطلاب أمر لهم الحق فيه ولا بد منه، والفرد السوي الذي لم يجتله شياطين الإنس أو الجن عن فطرته يتعشق المثل الأعلى دوماً، والمثل الأعلى في التربية الإسلامية المثلى يعني نموذج الحياة الكريمة الصالحة المستقيمة التي

يراد للفرد المسلم أن يحياها، وللأمة المسلمة أن تعيش طبقاً لها، وحين يهمل رجال التربية والتعليم لا سمح الله المثل الأعلى الذي جاء به الإسلام واهتم به كثيراً ويحاولون أن يضعوا مثلاً أعلى مغايراً فإنهم لا شك سيضعون نماذج سيئة ضارة أو مثل سوء. ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[1] والمثل: الحال والصفة العجيبة في الحسن أو القبح، والسوء مصدر ساءه يسوءه سوءاً، إذا عمل معه ما يكره، وإضافة المثل إلى السوء للبيان والمراد بمثل السوء، الأفعال الشائنة القبيحة، والمعنى صفة السوء التي هي كالمثل في القبح، وهي تدل على الجفاء والغباء والجهل وقبح التفكير وفساد التصور، ولن ينجح المربي في رسالته الكبيرة إلا إذا كان سليم التصور صحيح العقيدة رفيع التربية، أشرب أصولها وفروعها وأسسها وأساليبها ومجالاتها من الكتاب والسنة ومنهج سلف هذه الأمة، ولهذا نجد علماء المسلمين، من أمثال ابن خلدون في المقدمة، وابن كنون في آداب المعلمين، والزرنوجي وغيرهم قد بينوا في تراثهم المجيد كثيراً من هذه الصفات والسمات والأخلاق الكريمة خاصة تلك التي تتعلق بالحديث عن أخلاق المعلم، والمتعلم، ولعل من حكم الله الظاهرة تلك التي تتجلى فيما أودع في النفس الإنسانية، من حب للتقليد والمحاكاة للغير وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك، أن العلاقات والصداقات ونحوها تبني المرء إن كانت صالحة وتهدمه إن كانت شريرة فاسدة، والقرآن الكريم يهتم بهذه الطريقة ويركز عليها ويوجهها ويرتبها ويهذبها جيداً والتربية الإسلامية تتخذ من التقليد الحسن والأسوة الفاضلة طريقاً ومنهجاً لها، وإلا وقعت في المحذور بحيث تصبح تلقيناً، وحفظاً، وتسميعاً دون أن تحمل مضموناً تهدف إليه، ويكون له الأثر الفاعل في تغيير سلوك الإنسان غير السوي. وللصداقة والصحبة من الآثار ما لا ينكر حيث هذه الآثار ظاهرة، عبر عنها علم النفس الاجتماعي باسم (الصحبة) حيث أثرها البين في نمو الطفل النفسي، في أحاسيسه وانفعالاته، وفي قيمه وعاداته واتجاهاته

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٠.

المختلفة لذا نجد القرآن اعتبرها جزءاً هاماً متميزاً من طرق التوجيه والتدريس، ولذا نجد كبار أئمة الإسلام كمالك رحمه الله يحرصون على إبعاد اليهود، والنصارى وأهل البدع والأهواء والفساق ونحوهم عن تعليم أبناء المسلمين، وهو موقف عظيم متبصر على درجة عالية من الحكمة وبعد النظر، إن مثل هذه الحساسية وهذه اليقظة هي التي بعد الله تحفظ أبناء المسلمين مما يتسرب إليهم خفية من تيارات ملحدة أو ماجنة، أو من أمشاج وأخلاط الثقافات الأجنبية الدخيلة والهزيلة، إن عمر بن الخطاب وهو الخليفة الراشد الذي أجرى الله الحق على لسانه وخصه سبحانه بصفات حميدة وأعطاه حاسة إسلامية مرهفة نجده يمنع كعب الأحبار من قراءة التوراة، إلا أن تكون التي نزلت على موسى بعينها وذلك خوفاً على عقائد المسلمين وخاصة الأبناء، إن الكوارث والمصائب التي حدثت بالمسلمين قديماً وحديثاً، والانحرافات المضلة والتي انتهت ببعضهم إلى حالات مذلة كانت ولا شك نتيجة التأثر بتيارات أجنبية، ولهذا كان السلف رضوان الله عليهم أجمعين، يحرصون كل الحرص على تعميق وتثبيت هذا المفهوم خاصة بين التربويين خوفاً على الأمة من أخطار التلوث الذهني والتشويش المعرفي، وهو أمر يخالف بكل وضوح تلك الدعوات المغرضة والمشبوهة، الداعية للتفتح غير الرشيد، قال ابن حزم رحمه الله وأجاد من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق، من أهل المواساة، والبر، والصدق وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء، والأمانة والحلم، وصفاء الضمائر وصحة المودة، ومن طلب المال واللذات لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبة، والثعالب الخلبة، ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدو المعتقد خبيث الطبيعة وإذا كنا نعلم علم اليقين أن أهم خصائص الشاب إجادته للتقليد والمحاكاة كان حقاً على المهتمين أن يكونوا قدوة صالحة ونموذجاً كريماً لهم، وأن يكون لسان الحال منهم أبلغ من لسان المقال وصوت الفعال أبلغ وأعلى من صوت الأقوال، وإذا كان المتعلم جسداً، وروحاً، وعقلاً، ومزاجاً، وسلوكاً فلا بد من الاهتمام بكل هذه الجوانب، فالإسلام دين الوسطية، يلبي مطالب الجسد وأشواق الروح في

تـــنـــاســـق واتـــســـاق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] كما اعتبر القرآن بتربيته المثلى الصداقة والصحبة والمحبة والخلة جزءاً هاماً ومتميزاً من طرق التعليم والتربية قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[2] نبرات أسيفة وصوت متحسر، لا تكفيه يد واحدة يعض عليها إنما هو يداول بين هذه وتلك أو يجمع بينهما لشدة الهول والكرب، ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[3] بهذا التجهيل ليشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الله ويضل عن ذكره، إنه الندم الفاجع بعد فوات الأوان، هذا مثال بين وواضح للتقليد والمحاكاة والقدوة السيئة الضالة المضلة لينظر الإنسان لنفسه وقت الإمكان ويتدارك حاله قبل ألا يمكن وليوالي من ولايته فيها عزه وسعادته ويعادي من تنفعه عداوته وتضره صداقته أقول هذا محذراً من تلك النماذج السيئة بل من تلك السفاهات والحماقات في موالاة من تعرى من الفضيلة وتجرد من الحياء، من لباس التقوى وانغمس في الرذيلة والأمة الماجدة لا تأخذ قيمتها من شاعر داعر أو كاتب فاجر، والعجب كل العجب من أمة تسني أعداءها بسرعة وتحسن الظن بهم أحياء وأمواتاً، ويروج البعض منهم لنعيقهم ونقيقهم الساقط الهابط، إن هلاك مثل هؤلاء لهو خير للأمة وراحة لها من كل شر، بل هو شر يوضع عن الأعناق.



(١) . سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٢) سورة الفرقان: الآيتان ٢٧، ٢٨.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٨.

- ٨ -
التربية بالعبادة

للعبادة الصادقة أثر كبير وبين في حياة وسلوك الأفراد والجماعات، كما أنها تطبع صفاتهم وأخلاقهم وسلوكهم بطابع معين يرتضيه الإسلام ويرضى عنه المسلمون، والعبادة في مجملها هي الطاعة والانقياد التام لأوامر الله ﷻ، والانتهاء عن نواهيه، والوقوف بحزم وعزم عند حدوده وقيوده، وقبول جميع ما ورد عنه على لسان محمد ﷺ دون رد شيء من ذلك أو إلحاد فيه، وأخذ القرآن كاملاً وبقوة، ولب العبودية الصادقة الحب في الله والبغض في الله مع التواصي بالحق والتواصي بالصبر هكذا عرفها علماء المسلمين، يقول أحد المفسرين المجيدين ما ملخصه:

بالعبادة الحقة يحقق العابد شخصيته المتكاملة ويجد ذاته ويدرك شخصيته الأصيلة ويبتعد عن جميع المؤثرات الوبيلة والدخيلة والهزيلة، إنه يحفظ كرامته وآدميته، ويصون إنسانيته الكريمة، إنه متميز بين أقرانه وخلانه بالاستقامة في سره وسيره وسيرته وسريرته، وسلامة فكره، ورجاحة عقله ونضج تفكيره، ونفاذ بصيرته، يبتعد عن كل المؤثرات التي تظهره بعدم التوازن والتناسق، أو بمظهر الازدواجية، كما أنها توجب على المسلمين ألا يفرطوا في نصيبهم، من الحياة الدنيا، يتمكن من أداء رسالته في الحياة، ومع ذلك فلا يسلك في جمع المال (الذي هو مختبر الرجال) لا يسلك في جمعه طرقاً غير شريفة ولا نظيفة طرقاً غير مشروعة، أو ممنوعة، كما أنها تحقق التكافؤ الاجتماعي الصحيح ويرتفع صاحبها عن الضعف النفسي، وما أكثره في دنيا الناس وخاصة في أعقاب الزمن، وهذا الضعف النفسي المشين، يؤدي غالباً إلى سقوط الضمائر كما أنها أي العبادة الصادقة، توجب رعاية الأمانة وحفظها مع اجتناب كبائر

الإثم والفواحش، كما أنها تحقق لأصحابها الأمن في الحياة وبعد الممات اهـ. أما حقيقة وجوهر العبادة فهو توجه شامل وكامل وحركة دائمة ومتجددة بلا توقف، تعلن تماماً عن نفسها في صورة عمل ونشاط وانضباط واهتمام وانتظام، إنها عبادة صادقة نقية، تستغرق نشاط المسلم في وجدانه وجنانه، في خواطر نفسه وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، وبهذه الأشواق وبهذا الاستغراق والإشراق يتحقق معنى الخلافة في الأرض قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1] فالخلافة في الأرض هي عمل هذا الكائن الإنساني، وهي تستلزم ألواناً من النشاط الحيوي المنظم لعمارة الأرض والسعي في مناكبها والتعرف على مكنونها ومخزونها وتحقيق منهج الله في الاستفادة منها لتنهض الحياة على منوالها وبسببها كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج السليم القويم الذي يتماشى ويتناسق مع النظام الكوني العام وبهذا يتجلى بوضوح تام أن معنى العبادة أشمل وأكمل وأوسع من مجرد الشعائر التعبدية الظاهرة التي كلف بها البشر وأن وظيفة الخلافة الحقة لهذا الإنسان داخلة تماماً في مدلول العبادة الكاملة، والعبادة كما هو معروف لغة مأخوذة من الذل والخضوع والانقياد، يقال طريق معبد أي مذلل، وفي الشرع، العبادة هي كل ما يجمع كمال المحبة والذل والخوف. والعبادة في عرف الإسلام تؤكد إقرار العابد إقراراً كاملاً وشاملاً بقلبه وجوارحه وخضوعه خضوعاً مطلقاً لله رب العالمين يطغى ويسيطر على كل خضوع لغير الخالق وراء كل وجود زائل، ولأن أصل العبادة هو الانقياد والامتثال لكل أوامر الله بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وكذلك فإن أداء الفرد وقيامه الفعلي بتنفيذ هذا الانقياد والامتثال يعرف بأنه حقيقة العبادة نجد أن بين الحقيقة والأصل تكون مهمة الإنسان التي يقول عنها الحق ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[2] ففي هذه الآية الكريمة

---

(١) سورة هود: الآية ٦١.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

تتحدد بوضوح تام الغاية الكبيرة والكريمة من خلق الإنسان وغيره ألا وهي العبادة بكل معانيها ومبانيها الخاصة والعامة العبادة الحية العبادة النقية العبادة المؤثرة الموحية المبهجة الخالصة لله ﷻ، وعبادتهم هي امتثال، لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وبهذا يتضح بجلاء بأن حقيقة العبادة تتمثل في أمرين هامين:

أولهما: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس أي استقرار الشعور أن هناك رباً وعبداً، عبداً يعبد الله، ورباً يعبد.

وثانيهما: التوجه الصادق الجازم العازم الحازم إلى الله وحده دون سواه بكل حركة في الضمير وكل حركة في الجوارح.

الأثر التربوي الهام لهذه العبودية: هو ضرورة عودة الإنسان الذي خلقه وسواه في أحسن تقويم إلى فطرته الأصلية والنبيلة والانقياد للقوة العليا التي تهيمن على هذا العالم، وإذا لم يدرك الإنسان هذه الحقيقة في الدنيا بحيث يمتثل أمر الله ويمتثل للأوامر الإلهية فإنه سيؤخذ على حين غفلة وعلى غرة في لحظة أجله المحدودة أزلاً، ويتوفاه ملك الموت الذي وكل به، ويأتي يوم القيامة محشوراً جاثياً قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾[١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[٢] إن الأثر التربوي للعبادة العامة لدى المدققين كبير وكثير ومتعدد ومسعد وهو يتناول أيضاً البحث في هذا العالم الفسيح عن أسرار هذا الكون الرحيب والاستفادة من مكنونه ومخزونه في مجال البحث العلمي. وإذا استفاد الإنسان من هذا البحث فالنتيجة الفطرية والتجريبية تؤدي إلى الإيمان التام إذ هي تربية صادقة تدعو إلى الإيمان واليقين.

نتائج العبادة تربوياً: يمثل الجانب التربوي في العبادة أكبر نصيب فهو يحل الأدب والخلق والفضل والنبل والشهامة والكرم والطاعة في قلب كل

---

(١) سورة مريم: الآية ٦٨.

(٢) سورة مريم: الآية ٧٢.

مسلم، إن فرائض الإسلام ومثله العظيمة ومبانيه ومراميه الكريمة تفي تماماً بكل الحاجات والرغبات وتلبي كل المطالب وتفي وتشفي الكثير من العلل النفسية والجسمية (وما أكثرها) في دنيا الناس خاصة في مثل هذا العصر المليء بالملهيات والمغريات والشُّبه والشكوك والأراجيف والقيل والقال من أشباه الرجال، أقول إن نظم الإسلام وتعاليمه العظام تشفي تماماً من العلل النفسية والجسمية والاجتماعية والأسرية والبيئية والفردية، وتصحح وتربح وتريح كل المسارات والاتجاهات وبعد ذلك تدعو ضمن أمور كثيرة إلى الوحدة والنجدة والجماعة والائتلاف، وتحذر من الانقسام والفرقة والاختلاف وهي أساس هام وكبير لوحدة الشعور والمشاعر والاتجاهات والمفاهيم والنظم ووحدة القيم، وتؤصل وتعمق قواعد السلوك والأخلاق ومما سبق ندرك أن العبادة في الإسلام بوجه عام تؤدي مباشرة **إلى نتيجتين هامتين**:

أولهما: أن الاتجاه إلى تربية الوجدان الديني الذي يجعل المسلم الحق متعاوناً مؤتلفاً مع غيره ليتكون من هذا الاتجاه والائتلاف مع غيره والتجمع الخيري الرشيد مجتمع إنساني متواد إسلامياً لا مادياً ولا مظهرياً فارغاً، يتحابون بالألسن ويتباغضون بالقلوب، كما هو صنيع التربية المادية الفارغة من روح الإسلام، إن مجتمع الإسلام الذي هو بعد الله من صنع التربية الإسلامية العالية مجتمع تظلله راية الإسلام وتجمع أفراده روحه السمحة ومعطياته الخيرة وتوجيهاته وتوجهاته السديدة والفريدة والرشيدة المفعمة بالخير والعطاء والنماء والرخاء.

ثانيهما: أن غاية العبادات في التربية الإسلامية الكريمة ليست مجرد مظاهر شكلية نعرف ذلك من القرآن ومن نهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام حيث العبادات الكاملة تتجه أساساً إلى النفع الإنساني العام الشامل كما تسعى إلى إيجاد مجتمع فاضل كحال السلف من هذه الأمة خريجي المدرسة الأولى المحمدية، مجتمع غير متباغض ولا متدابر ولا متنازع وهنا هو سر العظمة والتألق فيه وفي رجاله وأفعاله.

والتربوي الحق والمحق يغرس ويكرس ويعمق هذا المفهوم التربوي

العظيم في نفوس تلاميذه ويبين وبجلاء تام الأثر التربوي العظيم لهذه العبادات في شريعة الإسلام ويجيد الربط والحديث عن هذا الأثر في حياة الناس واختلافهم بسببه بعد الممات كما يوضح لطلابه أن العبادات في جوهرها صمامات أمان لهذا المخلوق على ظهر هذه الأرض ووعي دائم وفكر مستمر وصلة وثيقة وعميقة الجذور وبنيان قوي الأركان والجدران وبهذا يصبح المسلم بتربيته القرآنية، بعبادته الحقة ربانياً منطقياً مثالياً واقعياً داعياً مراعياً مدركاً فطناً، وهذا هو الفارق الكبير بين التربية الإسلامية والتربية الوثنية، كما أن هذا هو الفارق الكبير بين مدرسة القرآن وبين النظم والقواعد والأعراف الأرضية التي قد ينادي بها المهزومون والبلهاء أحياناً من بعض المسلمين، فنجد عند المسلم انضباطاً وسلوكاً محدداً بشرع الله في البر والبحر وفي زمان أو مكان كان في حين أننا نرى النقيض من ذلك في غير التربية الإسلامية نرى أمماً تدعي التقدم والتحضر، نراها ترعى قوانين بلادها بحكم التعلم أو الوراثة (وهذه هي التربية الوثنية أو الهمجية) فإذا خرجوا من بلادهم تنكروا لذلك كله وتحولوا وحوشاً ضارية وكلاباً مسعورة وسباعاً مفترسة، إنها النظرة الوثنية الضيقة والتربية الوبيلة الهزيلة.



- ٩ -
التربية بالعبادة، العيد وأثره التربوي

يقول علماء التربية من المسلمين المجيدين، إن الإيمان الحق ليس قولاً يقال ولا دعوى تدعى، إنما هو حقيقة حية بهية شهية يمتد شعاعها إلى العقل فيقتنع وإلى العاطفة فتحيا وتجيش، وإلى الإرادة الحازمة فتتحرك وتحرك، يصدق ذلك كله قول الحسن البصري: (الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل)(١) وعماد التربية الإسلامية القلب الحي الموصول بالله تبارك وتعالى الموقن بحسابه وجزائه الراجي لرحمته، من أجل ذلك اهتمت التربية الإسلامية كثيراً بإحياء القلوب حتى لا تموت، وعمارتها حتى لا تخرب، وترقيقها حتى لا تقسو، إن ربط المسلم بشعائر دينية له معنى هام وكبير عند التربويين المسلمين ليرتبط بالتالي وبقوة بخالقه، فهو يقضي وقتاً سعيداً وممتعاً وأخاذاً يتدبر ويفكر، ويذكر الله، يفكر في حاله ومآله وفعاله حيث قضى وقتاً وعمراً مديداً في اللهو والسهو والغفلة والإعراض أحياناً، أو في مشاغل ومشاكل دنياه حيناً آخر، ولقد حانت الفرصة الذهبية ليروح عن نفسه بالطاعة وهجر المخالفة ويكفر عن ذنبه بأعمال وأفعال العبد الخيرة، ومن ذلك الأضحية، من أجل هذا اشتمل العيد على العديد من الوصايا والشعائر والمناسك التي تجعل له رسالة اجتماعية سامية إلى جانب أنه مناسبة إسعاد وبهجة، لأبناء الأمة الإسلامية مع اختلاف الأعمار والأحوال والمستويات، والمسلم الفذ يعيش توازناً دقيقاً بين مطالب جسمه وروحه، وهو يهفو دائماً إلى ما يحفظ عليه دينه رأس ماله، وإلى

---

(١) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ط٥، المكتب الإسلامي ص٤٢، ٤٣.

ما يحفظ عليه جوهره الأصيل ومعدنه وأصله النبيل، يحفظ عليه صفاءه ونقاءه وبريقه ولمعانه، والملاحظ تربوياً أن طاعة الله تقوم بوظائف عدة، ليكون صاحبها ربانياً حقاً قوي الفكر والعقل والبنية سليم النية حي المشاعر نظيف التوجهات، وغاية العبادات في الإسلام ليس مجرد التقوى السلبية (وما أكثرها مع الأسف الشديد بين بعض المسلمين) حيث العبادات تربوياً تقوم بواجبات ووظائف عدة عاجلاً وآجلاً، إنها تتجه إلى النفع الإنساني العام، كما تسعى إلى إيجاد أمة نابهة ناهضة فاضلة متكاملة، أمة غير متباغضة ولا متباعدة ولا متنازعة، وللعبادة أثرها التربوي الكبير في كل فرد فيها، في صفاته وصلاته وأقواله وأفعاله في جميع حياته ومدخله ومخرجه في شخصه وذاته، بحيث تصبح صفته المميزة، وعلامته الظاهرة، كما أن التربية الإسلامية الأصيلة تكسب صاحبها عزة معنوية، وصلابة في دين الله، قوة بدنية ومعنوية، مع السمو بالذات العلية إلى أشرف الغايات وأعلى المقامات، ترفع صاحبها عن الشهوات المذلة والطبائع البهيمية، والأعياد لدى المسلمين أيام معلومة ومواسم كريمة تمر على الأمة فتسعد بها لارتباطها بما تحبه وتجله من ذكريات عزيزة ومواقف كريمة وشعائر جليلة، فإذا أتى عيد من الأعياد الإسلامية تحركت عواطفها ونبل طبعها وتعمق إيمانها وانبعثت مشاعرها، ومن طبيعة الأعياد أنها تتسم بتوفيق الله بالفرح والسرور والهناء ومشاعر الصفاء والحبور، والمسلم فرحته إيمانية منضبطة ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾[1] هكذا يكون فرح المؤمن بقيام هذا الدين وعلو شأنه وتوطد أركانه لا فرح العابثين واللاهين والمفرطين، وأعياد المسلمين تأتي بعد نصر مؤزر وفوز كريم وعمل صالح وتكون نهاية لمرحلة من مراحل السداد في أمور الدين أو الدنيا والله سبحانه جعل الفرح والسرور في الدنيا والآخرة من خير ما يجده المسلم ويرفع شأنه ويعلي مكانه حيث إنه من عند الله: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾[2] والمسلم منضبط دائماً

---

(١) سورة الروم: الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة الإنسان: الآيتان ١١، ١٢.

وأبداً في أقواله وأفعاله وجميع صفاته وسماته، تربى على القصد والاعتدال يتوسط ويقارب لأنه من أمة جعلها الله في الوسط، والله يقول موجهاً ومحاسباً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[1] أي الذين يكثر فرحهم بالدنيا وحطامها وأحلامها وأوهامها وينسون الآخرة وحقيقتها وتباين الناس فيها، ومن الملاحظ أن أعياد المسلمين تأتي بعد مناسبات هامة وأعمال خيرة كثيرة، فعيد الفطر مثلاً يأتي عقب مدرسة الصيام والقيام وقراءة القرآن وتقديم ما تيسر تقديمه من الصدقات ومختلف أنواع الطاعات، والوقت بين العيدين الفطر والأضحى، ليس بالطويل، فما يكاد المسلم يفرغ من راحته ومحطة استراحته حتى يعود إلى عمله الجاد الأول ديناً ودنيا، ثم يستعد لموسم الحج، وعيد الأضحى، وما في العشر الأول فيه، أي من شهر ذي الحجة أعني ما فيها وما شرعه الله خلالها من طاعات كما ثبت ذلك في السنة الصحيحة، ثم بعد ذلك تطل عليه أضواء الهجرة، وما فيها من عبر ودروس عملية ذات تربية عالية ومضيئة لدربه الطويل، وهذا التنظيم الدقيق لأعياد المسلمين ضبط تام لمسار المسلم فالمسلم جاد ومنتج وعملي هكذا تكون التربية الحازمة، فإذا أتم عمله وقف وقفة قصيرة ومنضبطة، يأخذ نصيبه من الهدوء والراحة ثم يعاود العمل الجاد المثمر بكل حزم وعزم، وهذا دأب المسلم لا يرهق نفسه بالعمل ولا يضيعها بالكسل إنها تربية عالية المستوى عظيمة المحتوى نظيفة المناهج والبرامج ولكن نقول كما قال القرآن في مناسبة تربوية أخرى ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾[2] ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾[3] نعم الحسرة على بعض العباد الذين لديهم المنهل العذب والتربية المثلى، ثم يلتقطون من زبالة القوم ما يرديهم ويضيع تربيتهم وتربية أجيالهم، نعم نقول كما قال القرآن: ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾[4] أما الصالح وغير المتعارض مع ما لدينا فلا نحن بالخيار لكن بعد النظر وشدة الحذر، وما

(١) سورة القصص: الآية ٧٦.
(٢) سورة يس: الآية ٢٦.
(٣) سورة يس: الآية ٣٠.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.

الأعياد في الإسلام إلا واحة خضراء ظليلة مبهجة مريحة يجد المسلم فيها وارف الظل ونمير الماء والمسلم الذي تربى على مائدة القرآن يحسن المزج بين مطالب نفسه وأشواق روحه، بين المتعة الحلال وبين قوة الاتصال بالله فلا يقطع حبل الصلة بالله ولا ثانية واحدة فهو عبد مربوب لواهب النعم ومصدر الكرم جل وعلا، ومن الملاحظ مع الأسف الشديد أن الأعياد لدى بعض المسلمين سهو ولهو وتفريط وضياع للنفس والوقت والمال والجهد والطاقة أياً كانت وهذا قصور تربوي ونظرة ضيقة والمسلم يعيش دوماً تحت تربية قرآنية عالية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1] وإذا كانت الأعياد الإسلامية أفراحاً موزونة فلماذا السرف وحولك من هم بأمس الحاجة إلى عطائك ورفدك وقد يكونوا من أقرب أو أحب الناس إليك وخير المسرات ما عمت الجميع، وهل ذلك العربي القح الذي لم يتعلم في مدرسة ولا ارتقى في مدرج جامعة هل هو أنبل وأكمل من بعض التربويين اليوم خاصة وبعض المتعلمين عامة في دنيا الناس، يبدو ذلك حيث قال وأجاد:

فلا نزلت عليّ ولا بأرضي ... سحائب ليس تنتظم البلادا

فالمسلم تربوياً ليس ملكاً لذاته ولا لملذاته وملهياته ومغرياته بل يتنزه تماماً عما لا يليق بالعقلاء والفضلاء وبهذه التربية المثلى تعتدل الحياة ويستقيم أمر الناس ولذا قيل:

تعود صالح الأخلاق إني ... رأيت المرء يألف ما استعادا

وإذا سبرنا أحوال الناس قديماً وحديثاً وحتى الحيوانات والعجماوات وجدنا الكل يبحث عن السعادة، وأنى لهم بذلك بدون الإيمان واليقين والثقة برب العالمين ولقد تعددت أقوال المختصين فيها، والظاهر أنها واصلة دنيا وأخرى لعباد الله الصالحين والعيد السعيد إن شاء الله يذكرنا دائماً بلفظه ومعناه وما نلحظه فيه بالعود السعيد بحول الله إلى فعل الخيرات وبذل المكرمات

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

وطلاقة الوجه وحسن الاستقبال، والعرب تقول عاد فلان بمعروفه إذا أحسن ووفى، ومن صفات الله تعالى أنه (المبديء المعيد الفعال لما يريد) يبدأ الفضل والإحسان ثم يعيده وعيدنا هذا العام يصادف فصل الربيع الفصل الذي فيه تورق الأشجار وتصدح الأطيار[1] تحيا فيه الأرض بعد موتها وفي ذلك عبرة وذكرى لربيع الديار، والمسلم الواعي الفطن المدرك عليه أن يبحث عن ربيع قلبه فينهض إلى الخيرات ويسارع إلى المسرات مسعداً غيره ممن لا يستطيعون ذلك يبعث مشاعره وأحاسيسه الخيرة ويطلق لروحه أشواقها ويخلصها من أوضار المادة وقيد الشهوة أو الشهرة، ويعتبر نفسه بدون ما ذكر نفساً ميتة وتربية ناقصة وقاصرة فهل يدرك الكثير من التربويين معنى ومغزى العيد في الإسلام، وهل نستطيع بتربيتنا الأصلية لا الدخيلة ولا الهزيلة أن نطبع شباب الإسلام بطابع التعاون والتراحم والتلاحم والبذل والفضل والنبل فيصبح لدينا تربية مثلى قرآنية المنهج سليمة المدخل والمخرج أم نرقع ونجمع ونغير ونبدل ونتيه بين أقوال البشر وتكون النتيجة كبعض شباب الإسلام شرقاً وغرباً (لا سمح الله) وأرجو ألا يكون بيننا ذلك ومنهم مثلاً:

١ ـ شباب نشأ في بعض ديار الإسلام على قصور تربوي، نشأ على الدلال والميوعة وقصر النظر وقلة الحذر وعدم المبالاة والسلبية المميتة.

٢ ـ شباب نشأ على الجهل بالدين فبعد عن الأخلاق الكريمة والطباع السليمة.

٣ ـ شباب نشأ متكبراً متعجرفاً لا تعرف له طريقاً معيناً، لا يشارك مشاركة فاعلة ولا يهتم بمن حوله ولا حتى والديه وأهله وإخوانه، يعامل الناس بجلف وصلف وعدم اهتمام.

٤ ـ في بعض ديار الإسلام هناك شباب، يفهم الدين من خلال الخرافات والأقاويل الباطلة والدعاوى الكاذبة، أو من كلام أهل البدع والأهواء، يعيش بعيداً عن العلماء العاملين، لم ينهل من معين صاف، ولم يسلك مسلك جماعة المسلمين، وعلماء التربية من المسلمين يؤكدون أنه لا بد

في أن ينظر في فهم المتعلم، ومقدار عقله، فلا يعطى ما لا يدركه ولا يفهمه ولا يحيط به عقله.

٥ ــ ومنهم من نشأ ضائعاً مضيعاً، فلا بد إذا من التوجيه السليم والحكمة والدعوة برفق ولين وأعياد المسلمين فرصة ثمينة ومناسبة كريمة للمراجعة والمحاسبة وضبط النفس أمام المغريات والمثيرات كما أنها مجال رحب وواسع لمختلف المشاركات الخيرة والعطاءات المفيدة، والمسلم الحق بتربيته المثلى ينعتق من الأثرة إلى الإيثار هكذا ينبغي أن نكون وأن نظهر في أعيادنا الإسلامية بمظهر الأمة الواعية المدركة الخيرة الكريمة وعند ذلك يجد المسلم للعيد طعمه وفرحته، بصر الله المسلمين بدينهم وهداهم سواء السبيل.



- ١٠ -

الهجرة وآثارها التربوية

في مطلع المحرم من كل عام تستعيد الذاكرة تلك الهجرة العطرة النضرة ومع تكرارها كل عام لا تسأم النفوس المؤمنة تكرارها ولا الحديث عنها لأنها من الأمور الغالية ذات الآثار الكبيرة والمسلم في مثل هذا الموقف ليس بحاجة إلى سرد حادث الهجرة إنما هو بحاجة ماسة إلى الموعظة والعبرة وأخذ الأسوة والقدوة من مدرسة عظيمة بل جامعةٍ كبيرة مدرسة محمد ﷺ ففيها الدروس العملية الفائقة ومن هذه الدروس والعبر العظيمة ما يلي:

١ ـ في تصرم الشهور والليالي والأيام وانقضاء الأعوام إثرَ الأعوام أعظم معتبر لمن كان له قلب، وأعني القلبَ الحيّ الذكي الزكي، فالمسلم يودع عاماً من حياته وعمرِه القصير، وهو في الوقت ذاته لا يعلم ما الله صانع وفاعل فيه مستقبلاً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[1].

٢ ـ حادث الهجرة نُقلةٌ عظيمة وفتح كبير حَوّلَ الصحابة من حالٍ إلى حال فهو في مجمله فرجٌ ومخرجٌ وعز ومنعة.

٣ ـ حادث الهجرة درسٌ بليغ رائع في الإعداد والتربية المثلى للصغار والكبار ومختلف الأعمار.

٤ ـ الهجرة أوضحت بجلاء العداء الأكيد بين الإسلام والكفر والقاعدة

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

التربوية القرآنية التي لا تتبدل ولا تتحول ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1] ظهر ذلك جلياً من موقف المشركين قبل الهجرة وتآمرهم.. إلخ.

٥ ـ الهجرة بوجه عام رحمة ونعمة وفضلٌ وإحسان حيث صار للمسلمين دارٌ وقـــرارٌ ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[2] إنــهـا مـنـةٌ عظيمةٌ ونقلةٌ كبيرةٌ من حال الضعف والضيق إلى الأمن والقوة والنصر والرزق الطيب والمتاع الآمن الكريم.

٦ ـ الفتنة والابتلاء والامتحان والاختبار واضحةٌ كُل الوضوح في الرسالات كلها وفي رسالة محمد ﷺ: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[3] عَلِمَ الرسول ﷺ وصحابته الكرام ذلكِ حَق العلم ومن ثم كان للقرآن الكريم في حسهم ذلك المذاقُ حيث كان تعاملهم مع وعد الله الصادق الذي لا يتخلف.

قال الغزالي رحمه الله: (إن أسفار الصحراء توهي العمالقة الآمنين فكيف بركب مُهْدَرَ الدم. مباح الحق، ما يحس هذه المتاعب إلا من صَليَ نارَها).

٧ ـ حِينَ يستنفدُ البشر طاقته وتضعف قوته ويتم الاختبار ويأذن الله لعبده بالنصر يأتي مددُ الله وعونُه ورفدُه، حين تتهاوى الأسناد وتنقطع الأسباب وهذه بحد ذاتها وثيقة تربوية واضحة يهتم بها أصحاب التقعيد والتأصيل (في أصول التربية الإسلامية).

٨ ـ المسلم يفعل الأسباب ولا يعتمد عليها بل يكون اتكاله على الله أولاً؟ أخيراً.

٩ ـ المسلم يقبل قضاءَ الله وقدرَه بصدر رحب، ويطمئن كل الاطمئنان أنَّ ما قدره الله وقضاه خيرٌ له في عاجل أمره وآجله.

١٠ ـ قال الغزالي رحمه الله متعجباً: (يا عجباً لنقائض الحياة واختلاف أهلها)

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٧.

إن الذي شهرت مكةُ سلاحَها لتقتله ولم ترجع عنه إلا مقهورةً استقبلته المدينة وهي جَذْلانةٌ طروب، وتَنَافسَ رجالها يعرضون عليه المنعة والعدة والعدد.

١١ ــ من واجب المسلمين عامةً ورجالِ التربية والتعليم خاصةً الانتفاعُ بهذه الدروس العملية الواقعية أو بالأحرى النوذجية في الهجرة النبوية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[1].

١٢ ــ في الحديث الصحيح المهاجر من هجر السيئات (البخاري ومسلم) إذاً فالمنهج التربوي الإسلامي هجر الخطايا والذنوب، هجر كل ما يخالف الإسلام قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً في نفوسنا وبيوتنا ومواقع عملنا ومدارسنا وجامعتنا، هجر البغي والظلم والفسوق والعصيان، هجر الكسل والإهمال والترف، والرياء والنفاق.

١٣ ــ الهجرة خير مرشد ومعين للدعاة والمرشدين، والمعلمين في رسم المنهج السليم.

١٤ ــ في الهجرة تتجلى عبقرية التخطيط والتنفيذ والمتابعة وبذا يظهر للجميع وخاصة التربويين أهمية ذلك ويكون ذلك بأيدٍ تجيد مثل هذا التخطيط السليم لتربية إسلامية رشيدة أراد اللَّهُ لها أن تكون كذلك.

١٥ ــ في الهجرة مثالٌ حيٌ للتربوي المسلم صاحبِ التأصيل الكريم وهو أن صاحب المنهج السليم لا يساوم فيه ولا يحيد عنه ولا يتذبذب ولا يروغ روغان الثعالب قناعةً واعتداداً بمنهجه الأصيل ذي المعدن النبيل فهي كالذهب الأصيل كلما فحصته ودققت فيه زاد إشراقه ولمعانه.

١٦ ــ الهجرة لكونها مصدراً هامّاً في التربية المثلى أوضحت بجلاء إخفاق المناهج والبرامج البشرية في تحقيق الهدف المنشود من التربية وأثر هذا الإخفاق في نفسية البشر وواقعهم وطموحاتهم، وتميز التربية القرآنية على التربية الوضعية (اللقيطة أحياناً) كما بينت التربية الإسلامية ذات السمو والسموقِ ما في التربية الوضعية من نواحي النقص والقصور في المنهج والأسلوب.

---

(١) سورة ق: الآية ٣٧.

١٧ ـ في حادث الهجرة وثيقة تربوية هامة وهي أن الإسلام لا يكتفي بالصلاة والصوم ونحوهما بل يريد من المسلمين مع ذلك أن يقيموا الإسلام عالياً في نفوسهم وأن يقيموا منهجهُ وأنظمتَهُ وآدابَه وفضائله في بيوتهم وأسواقهم ومواقع عملهم ومدارسهم وجامعاتهم ودواوين حكمهم بادئين من البيت والمدرسة وملاحظين ذلك بهمة وحزم وعزم واقتدار في تربية البنين والبنات مستهدفين الصلاح والإصلاح، وإيجاد المسلم الصالح بعد توفيق الله ﷻ، روى الإمام مسلم رحمه الله أن مجاشع بن مسعود السلمي قال جئت بأخي معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت يا رسول الله بايعه على الهجرة فقال رسول الله ﷺ قد مضت الهجرة بأهلها قال مجاشع فبأي شيء تباعيه قال: على الإسلام والجهاد والخير قال أبو عثمان النهدي فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع فقال: صدق.

١٨ ـ التربوي المسلم دقيق ورفيق وحذر ويقظ هكذا كان المعلم الأول والأستاذ الأمثل صلوات ربي وسلامه عليه (كان خُلُقَهُ القرآنُ).

١٩ ـ التربوي المسلم يعنى بالتأسيس والتأصيل وجودة التحصيل ويبحث دوماً عن الأماكن الصالحة والمواطن الخصبة والعقول الكبيرة التي تحمل فكرَه وتراعى مادته وتوثق علمه كما فعل ﷺ وكما هو ماثل من حديث الهجرة فكانوا بهذه التربية المثلى صادقين فيما عاهدوا الله عليه.

٢٠ ـ التربية الجادة القاصدة سبيل المؤمنين ومنهج الصالحين ودرب الرابحين والله المستعان.



- ١١ -
التربية الخلقية

من أهم جوانب التربية لدى علماء من المسلمين الجانب النفسي أو الخلقي فقد عظم اهتمامهم به وتأكيدهم عليه واعتبروه المحور الأول للضبط الاجتماعي. ويؤكدون بما لايقبل الجدل أو الشك أن أزمة العالم جميعاً وبدون استثناء إنما هي أزمة نفوس وضمائر وإفلاس ديني وخواء روحي إلا من عصمه الله وتولاه، إن أعظم سلاح ينبغي أن يتزود به المسلم وهو يواجه هذه الحياة هو الأخلاق، وقوة الإرادة وصلابة الانضباط وحسن التوجه وسلامة القصد، وصحة الذوق، وهي معان أصيلة وكريمة اهتمت بها التربية الإسلامية الماجدة القاصدة كثيراً ودعمتها بمددٍ وعدد من التوجيه لا ينضب، وهذا التألق والانضباط الأخلاقي في التربية الإسلامية ينبغي أن يكون سلاح المسلم الذي تربى على مائدة القرآن في كل الأحوال، فالنفس في ظل الإسلام لم تعد تتصرف حسب رغباتها وأهوائها وشهواتها المذلة، وإنما تحكمها الآداب الشرعية والأعراف الفاضلة المرعية، والإسلام يعتبر الأخلاق الفاضلة من شعب الإيمان، وفي الحديث: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» والخلق والأخلاق كلمة ذات دلالة عميقة فهي بعيدة المدى في مدلوها، إن الشهادة الكبرى والتكريم العظيم لمعلم الإنسانية وأستاذ الحياة محمد ﷺ ما وصفه به ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾[1] حيث يعجز كل بليغ وكل قلم وكل تصور عن وصف قيمة ومعنى هذه الكلمة العظيمة، ولقد كان واقع سيرته ﷺ أعظم شهادة من كل ما روى عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم دلالة وأكبر عمقاً

---

(١) الملاحظ هنا أن الوقت يتغير ولكن المراد هنا وقت كتابة البحث فقط.

من كل شيء آخر مما وصفه به الواصفون، والله أعلم حيث يجعل رسالته، إن هذه الرسالة الكريمة فيها من الصفاء والكمال والجمال والعظمة والشموخ والشمول بحيث لا يحملها إلا من وصفه ربه بالخلق العظيم في تماسك وتوازن واعتدال، يبلغ قمة الكمال الإنساني، إن لهذه اللفتة دلالتها العميقة في تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله، وأصالة هذا العنصر في الحقيقة الإسلامية كأصالة الحقيقة المحمدية والناظر المنصف يجد بوضوح في سيرة محمد ﷺ العنصر الأخلاقي بارزاً وأصيلاً فيها بدءاً من عقيدة التوحيد والتجريد لله رب العالمين ثم تأمل الطهارة والنظافة والأمانة، والصدق والعدل والرحمة والحشمة والبر وحفظ العهود والعقود والمواثيق، ومطابقة القول للعمل، والنهي عن الإفك والإثم والجور والظلم والخداع والغش والغرر، وأكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء على الحرمات والأعراض، إن التشريعات العظيمة في رسالة محمد ﷺ كلها تحمي وتنمي الأخلاق الفاضلة والصفات والسمات النبيلة. والتربويون المعاصرون، يرون أن هدف التربية هو (التشكيل الأيديولوجي) لأبناء المجتمع، ومعروف تربوياً أن هذا التشكيل عملية مستمرة مدى الحياة، والنمو في نظر (جون ديوي) والمتأثرين به يتم عن طريق الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المختلفة ليتحقق بذلك حسن التكيف بين الفرد وبيئته.

وإذا كانت التربية لدى هؤلاء تعني (التشكيل الإيديولوجي) لأبناء المجتمع أي تنميتهم على نحو معين يشمل كل نواحي الحياة، جسدية كانت أم عاطفية أم اجتماعية أم فكرية، أم أخلاقية أم روحية فإنها عملية لا بد أن تشكل الحياة كلها على حد تعبير (ديوي، وكاندل) والتربية على حد تعبير (جراتان) من أوسع الميادين، فهي من المهد إلى اللحد، وكذا هي عند علماء التربية من المسلمين، والرسول الكريم ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فيلخص إذاً رسالته السامية في هذا الهدف النبيل وتقوم سيرته الشخصية وصفته الذاتية مثالاً حياً ونقياً وصورة حية قال عنها ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1] هذه

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

الأخلاقيات العالية، هذه الصفات الفذة في سيرته وتربيته ﷺ لم تتبع من البيئة من حوله، ولا من اعتبارات أرضية أخرى إنما تستمد من منهجه وجوهر رسالته، وطلب من البشر تحقيقها في حدود القدرة والطاقة، كي يحقق العابد ذاته ويؤكد إنسانيته وآدميته، كي يتهيأ لمقعد صدق عند مليك مقتدر والأخلاق الإسلامية المنبثقة من التربية الصحيحة ليست فضائل مفردة مجردة، صدق وأمانة وعدل ورحمة وبر وإحسان إنما هي منهج شامل متكامل حصين متين تتعاون فيه التربية الصحيحة مع الشريعة الكريمة (التي هي أس الفضائل وجذرها العميق) وتقوم التربية هذه على فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعاً وتنتهي كلها إلى الله، وقد تمثلت هذه الأخلاقية الإسلامية العالية في المدرسة المحمدية الأولى وتمثلت في ثناء الله عليه في العديد من الآيات، كما تمثلت في الثناء العظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾[1] إذا ليس القصد من الخلق مجرد لين الجانب وحسن العشرة كما يفهم البعض وإن كان هذا حسناً ومطلوباً «وخالق الناس بخلق حسن» كما أنه ليس الخلق مقصوراً على التعفف عن الزنا والخمر، وإن كان هذا مطلوباً ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ...﴾[2] الآية بل يشمل هذا وذاك بل يشمل ما هو أعم وأعمق من جوانب الحياة، من ضبط النفس والصدق والإحسان في العمل وإلى الناس، والأمانة، والديانة، والصيانة، والشجاعة في الرأي، والعدل في الحكم، والصلابة في دين الله، والعزم والحزم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحرص على النظافة واحترام المال العام، واحترام النظام، والطاعة في غير معصية، واللين في أيدي الإخوان، وغير ذلك من الفضائل الخلقية المرعية واحترام مشاعر المسلمين من الأصول المرعية في هذا المقام، فأين هذا مما تفشى في مجتمعات المسلمين من التعامل بالصلف والجلف والغش والخداع والتغرير، والسعي إلى البذاء والإيذاء، وجرح مشاعر الزملاء وحتى النبلاء والرفقاء،

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة النور: الآية ٣٠.

والسعي بينهم بالوشايات والجراحات والانحراف وراء التظاهر والتفاخر والهمز واللمز والسب والثلب مما يتنافى مع أخلاق المسلمين وتربية سيد المرسلين وما أتى به كتاب رب العالمين. وإذا كانت وظيفة المدرسة بناء الأخلاق، فإن الطريق إلى ذلك سهل وميسور لمن وفقه الله حيث المدرسة تتلقى التلاميذ وهم مزودون بغرائز مختلفة وميول متعددة فتقوم بتوجيه هذه الغرائز وتعديلها نحو الخير والفضيلة والامتاع والإبداع فغريزة حب الاستطلاع (البذيئة الحقيرة أحياناً) تتولاها المدرسة الحديثة بالتدريج فتحولها إلى حب الكشف والاختراع، وغريزة حب الشهوة والظهور وتحقيق الذات (وهي الشهوة الخفية) تحولها المدرسة النابهة إلى الخدمة العامة والنفع المتعدد، تنمي كلاً منها إلى ما يناسبه وأروع مثال ما تم في جيل الصحابة الكرام، حيث حولت التربية الإسلامية قوماً كباراً في السن من أخلاق جاهلية بدائية إلى أخلاق عظيمة بناءة، علماً أن التأثير في مثل هؤلاء الكبار أمر ليس سهلاً مثل قيادة الطلاب والشباب وهم في مدرستهم وفي دور تشكيلهم والمدارس الإسلامية تقوم على التنمية الخلقية للتلاميذ بالتدريج بما لديها من إمكانات، وأهم ذلك المدير والوكيل والمدرس وغيرهم ممن يعنون بتربية الطلاب ولا بد من شرط الكفاءة فيهم ففاقد الشيء لا يعطيه، كما لا بد من الولاء للمهنة والتهيئة الكاملة لها قبل الشروع فيها ويكون ذلك بأفضل الطرق التربوية المسلم بها، إن من أسمى نواحي النمو الخلقي في المدرسة تكوين المستويات الخلقية الذوقية كتقدير العلم واحترام المعلم وحب المدرسة والنظام والمحافظة على مشاعر الناس وأحاسيسهم وتكوين العادات الطيبة كحب العمل والإنتاج وتقدير العاملين ونبذ المهملين والعصاة وأعداء الدين والفضيلة والحب في الله والبغض في الله واحترام أنظمة المجتمع ومصالح الأمة، والمدرسة التي تريدها التربية المجيدة تهتم كثيراً بهذا الجانب وتوليه جل عنايتها وكبير اهتمامها، والمدرسة الجادة تعد الطلاب تماماً للتكيف مع حياة المدرسة ليصبحوا بعد ذلك قادرين على التكيف مع الناس في الحياة العامة خارج نطاق المدرسة، إن كل تصرف غير حميد في الحياة العامة من قبل الشباب والطلاب والكبار أيضاً سببه ولا شك في الأعم الأغلب

القصور التربوي، وإذا كانت التربية في المدارس جادة وقاصدة حصل خير كثير ودفع الله بها أشياء كثيرة غير حميدة، إذاً فواجب المربين كبير وأثرهم في طلابهم بين وواضح خاصة من كانت لديه المقدرة والمعرفة والدراية بالطرق التربوية الصحيحة، والتربوي المسلم يعد الناشيء للحياة والممات، يعده إنساناً سوياً في جميع الأحوال والظروف وهذا هو الفرق بين التربية الإسلامية وغيرها من الطرق التربوية الأخرى، فهي (أعني تربية غير المسلمين) محدودة الزمان والمكان، إنني هنا أركز على التربية الإسلامية المجيدة ذات الأصول والجذور الثابتة التي أتت لخير بني الإنسان، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1].



(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

- ١٢ -

مِنْ أصول التربية الإسلامية
التذكير بأيام الله

التذكير بأيام الله فالأمم قديماً وحديثاً لا يبقى في ذاكرتها غالباً، إلا الأيام العظام الأيام التي فيها أحداثٌ هامةٌ مفرحةٌ. أو محزنة والأمم جميعاً في تاريخها الطويل القديم والحديث، تهتم وتعني عنايةً فائقةً بأيامها المجيدة تعمر بها مجالَسِها للكبار والصغار ومختلف الأعمار، حيث إنها تعلم يقيناً أهميتها وقيمتها الاجتماعية والتربوية، تملأ النفوس وتعطر المجالسَ بذكرها، فهي غالباً أيام عظيمةٌ تذكر للتذكر والتبصر والاعتبار، وكل الأيام هي أيام الله ولكن المراد هنا التذكير بالأيام المميزة التي فيها عظة وعبرة وتأصيل تربوي سليم، ونحنُ الآن في مجالِنا التربوي نتحدث عن أمرٍ آخرَ وكبير من أيام الله فيها النصر والتمكينُ المبين، وأيامُ الله وقائعهُ في الأمم الماضية ويراد بها هنا أيام معروفةٌ وهي التي ظهرت فيها السراءُ والضراءُ ظهوراً بيناً كان لها آثارُها التربويةُ على الناس الذين عاشوا تلك الأيام وكذلك الذين أتوا ويأتون من بعدهم ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[1] وأصحابُ الشأن يقولون، فلانٌ عالمٌ بأيامِ العرب، أي بحرٌ بها ووقائعها وسرائها وضرائها وما جرى لهم فيها قال عمرو بن كلثوم:

وأيامٍ لنا غُرّ طِوالٍ   عصينا ألَمْلْكَ فيها أن ندينا

والتذكير بأيام الله حسب المنهج التربوي الإسلامي يكون بعقلٍ ورويةٍ وحكمةٍ مرْضِيةٍ، مجادلة بالحسنى حسب المقام، بنو إسرائيل على سبيل المثال مرت بهم أفراحٌ وأتراحٌ، أيامٌ غُمِروا فيها بالمتعةِ والنعمةِ وأيامٌ أصيبوا فيها

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

بالبليّةِ والنعَمَةِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1] صبارٍ في المحنةِ والبليةِ شكورٍ في المنحةِ والعطيةِ، هذا هو المنهج التربوي الإسلامي الرشيد والمنهج التربوي الكريم اقتضى تقديم صفةِ الصبر على صفة الشكر، لأن الصبر مفتاح الفرج المقتضي للشكر، أو لأن الصبر من قبيل الترك والقاعدة تقول: (التخلية مُقَدّمةٌ على التحلية) وفيها إشارةٌ لطيفةٌ سريعةٌ إلى مصارع الغابرين المتجبرين، كما أن فيها للمؤمنين طمأنينةٌ وأنسٌ، والصَبّارُ الشكورُ حقاً وصدقاً هو الذي يتذوق ويدرك معنى هذه الآيات، ويجد فيها اللذةَ والمسرةَ، ويجد فيها أسلوبَ الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وهو أسلوبٌ تربويٌ متميز، كما يجد فيها تسليةً وتسريةً وتذكيراً وتنويراً وأملاً ليحسَن العملَ، هذا وأن المسلم الحق بل التربوي الفذ ليقف أمام هذا النص الموجز المعجز الموقِظْ، المنذر المحذرِّ، الذي يطوي الزمانَ والمكانَ، وينقلك من روايات وأخبار، إلى حقائق ومشاهد للتذكر والاعتبار، وهذا عند أصحاب الاختصاص من بدائع الأداء في القرآن، وهو أسلوب متميزٌ لا يرقى إليه البشرُ لأنه الجمال الإبداعي المعبر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[2] فهي وعد من الله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[3] وعد صادق لا يتخلف، إن شكرَ النعمة دليلٌ على سلامة الذوقِ سلامةِ البشر، سلامةِ الحياةِ، سلامةِ المقاييس لأن الشكر هو الجزاء المناسب والطبيعي في الفطرة الزكية، يضاف إلى ذلك أنّ الشاكر وبمنظورٍ تربوي أخلاقي يراقب ربَّه في التصرف بهذه النعمةِ، فلا بطر ولا أشر ولا خُيلاء ولا استعلاء في الأرض، ولا استخدام لهذه النعمةِ في البؤسِ والدسِ والدّنسِ، والفساد، والإفساد وهذه تربيةٌ عاليةٌ، تزكي النفسَ وتعليها، والعذاب الشديد، يتضمن أشياءَ كثيرةً تنزل بهذا المُبَدّلْ، المْغْتِرِّ قد يكون منها، محقُ النعمةِ، أو محُو آثارها، فكم من نعمة قد تكون

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٥.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٧.

نقمةً وبلاءً، أو عذاباً مؤجلاً دنيا وأخرى، حيث الكفرُ بنعم الله لا يمضي بدون جزاء سُنة الله في الذين خلو من قبل. إن النظرَ في أحوال وآثارِ السابقين، طاعةً وانقياداً أو جحوداً وعناداً لهو منهج تربوي مفيد يَهُزُّ القلبَ البشري هزاً ومن أساليب القرآن التربوية المعجزةِ أنه، يأخذ بيد القارئ المتدبر ليوقفه على مصارع الغابرين وذلك بين حينٍ وآخر ليحرك القلبَ الباردَ والفكرَ الشاردَ، كما يحرص دوماً وبأسلوبٍ متفنن متقن على لحظات الاسترجاع الخيالي لأولئك وتصويرهم بأسلوب لا يرقى إليه تعبيرُ البشرِ، وتصويرُهم أحياء يذهبون ويجيئون، يعملون ويتعاملون، ثم إذا هم موتى لا حِسّ ولا حركة، ولا تجبرَ ولا تكبر ولا تعاظمَ ولا استعلاءَ في الأرض، ثم من الأمور التربوية الهامة في تلك الأيام (أيام الله) التي ينبغي التأكيد عليها بعد التذكير بها، انتصار الحق على الباطل، حيث الباطل في كل وقت وحين، زاهقٌ، وذاهب مهما علا وانتفش ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾[1] وأيضاً فمن الأمور التربوية الهامةِ الصراعُ بين الحق والباطل والمعركةُ الضاريةُ، بين عباد الرحمٰن، وحزب الشيطان، وأن النصرَ دوماً حليفُ الإيمان والمؤمنين، والخذلانَ للشرك والمشركين والقاعدةُ التربوية المثلى في هذا ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾[2] يا لَهُ من مشهدٍ معبرٍ مؤثرٍ بَعْدَ الشوقِ المضني والحُزْنِ الكامِدِ واللّهَفِ الظامئ بعد الألم والضيق، بعد الامتحان والابتلاء الشديد، حيث النصر والخروجُ من الضيق لَيس سهلاً ولا رَخيصاً ولا يشترى بثمنٍ بخسٍ خسيسٍ، أيها التربوي المسلم هذه أيامُ الله وهذه وقائِعُهُ يقصها القرآن الكريم غضةً طريةً كأنك تعيش بينهم، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[3] ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١٠.

(٢) سورة غافر: الآية ٥١.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣.

﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1] لم يكن بأسلوب خيالي مُجَنَّح يَنْقصُهُ الصدقُ والعمقُ والرويةُ كحال بعض القصص الهابطة الساقطة ذاتِ الغموض والتعقيد والكذب والافتراء مع الضعفِ في الهدفِ والمنهجِ والأسلوب.

أيها التربوي المسلم: الأيام كلها لله، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[2] أقول من واجبك التربوي الإسلامي أن تهتم بمثل هذه الأيام موضحاً أثرَها لطلابك ومن تلك الأيام مثلاً يوم عاشوراء الذي ينبغي للمسلم أن يجعله يومَ انتصار للحق والصدقِ والفضيلةِ في نفسه وبيته وموقِع عمله وأمته، انتصارٍ على الهوى والشهواتِ والشبهات وسائر المخالفات، وفعل للخيرات والطاعات ومن ذلك الصيام، قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (ما علمت أن رسول الله ﷺ صام يوماً يطلب فضلَهُ على الأيام إلا هذا اليوم يعني يومَ عاشوراء، ولا شهراً إلا هذا الشهر يعني رمضان) وجاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: (هذا يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامُه وإني صائم فمن شاء صام ومن شاء أفطر)، وروى الإمام مسلم رحمه الله قال، قال قتادة، قال رسول الله ﷺ: «صوم يوم عاشوراء يكفر سنةً ماضيةً» هذا وقد رَغَّبَنا ﷺ بصيام يومٍ قبلَه، أو يوم بعده، من أجل مخالفِة أعداء الله اليهود، ولقد قال العلماء المحققون، لم يثبت في هذا الشهر من فضائل الأعمال إلا الصيام، كما هو مروي عن الإمام أحمد رحمه الله وغيره من المحققين، ولا يليق بالمسلم في يوم عاشوراء إلا اتِّباعُ السنةِ كغيره من سائر الأيام والعبادات دائماً مبناها على السنة وهجر البدعة، «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ودين الإسلام كما قال المحققون مبني على أصلين:

أ ــ ألا تعبد إلا الله.

ب ــ وأن تعبده بما شرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أصول الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث:

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢.

١ - إنما الأعمال بالنيات. . . إلخ.
٢ - من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.
٣ - الحلال بين والحرام بين. . إلخ.

هذا ومن واجب التربوي المسلم تأصيلُ وتعميقُ السُّنَن في نفوس طلابه وإماتة البدع والمخالفات حيث إنها لا تحقق هدايةً ولا يَسْتروحُ فيها القلبُ المؤمنْ الروْح والرحمة.



- ١٣ -

وجوب الاهتمام بآراء التربويين

المقال[١] الجيد والمفيد المنشور في صحيفة الجزيرة تحت عنوان (عوامل مشتركة تلعب دوراً حيوياً في العملية التعليمية) بقلم الأخ الكريم/ فهد بن علي النغيمشي بتاريخ ١٤/١/١٤١٨هـ والذي تعرض فيه لعدة نقاط هامة وكبيرة تربوياً يحسن بالتربويين متابعتها وبحثها والوصول بها إلى الهدف المراد، وأنا في هذه العجالة سأتناول بحول الله آخر نقطة فيها حيث قال وفقه الله: (يلاحظ غالباً أن من يكتبون عن مرافق التربية والتعليم ليسوا من التربويين وهم مشكورون على شعورهم الطيب، بينما نرى الأقلام التربوية تختفي وكأن الأمر لا يعنيها نتمنى أن نرى قريباً الأقلام ذات العلاقة وهي تكتب المعاناة والمقترحات... إلخ).

والذي أحب أن أقوله هنا أن الكاتب الكريم وغيره عندما يكتبون في مثل هذه المسألة الدقيقة والكبيرة والهامة أيضاً والتي يفترض ألا يدخل فيها سوى أصحاب الاختصاص أقول إن التربويين لا يتحجرون واسعاً ولا يغلقون بحثاً مشاعاً ولا يحجرون على فكر ولا يحجمون معرفة مفيدة بحال، والذين كتبوا ويكتبون هم على كل حال مشكورون ومساهمون مفيدون لا شك في ذلك ولن تخلو كتابة من فائدة أو حكمة أو معالجة والحكمة ضالة المؤمن، وما ارتقى الفكر الإنساني بعد توفيق الله ووصل إلى ما وصل إليه الآن إلا بمثل ذلك والحديث هنا يطول، ولم يقل التربويون يوماً ولن يقولوا، لا نريد المشاركة ولا المعاونة فهم من أرحب الناس صدوراً وأكبرهم نفوساً وأوسعهم أفقاً، لكن التخصص المفيد والدقيق مطلوب والحكمة رائدة وقاصدة والخبرة فاضلة،

---

(١) وافق ذلك كتابة البحث فكانت الإشارة إليه.

والكتابات العادية غير الموثقة ولا المدققة والتي ليست نتيجة معاناة ولا تجربة ولا ممارسة موفقة فائدتها أقل وأثرها أضعف من كتابة المتخصصين وأهل الشأن، وإذا كنا نقول ونؤكد في مجالسنا الخاصة والعامة، إن سمة هذا العصر أنه عصر التخصص الدقيق ونقول دوماً كما قال الحق سبحانه: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1] وكقوله ﷻ: ﴿فَسْئَلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] ويقول العرب في أمثالهم السائرة: (أعط القوس باريها) إذاً لماذا هذا التشتت والتسطيح والإنشاء غير المفيد ولا المقعد في الكتابات التربوية، حيث الكتابات التربوية المقعّدة ذات أصول وجذور عميقة وأسس ثابتة لا تلويها الرياح يعرفها المتخصصون وهي ليست وهماً ولا خيالاً وافتراضات واقتراحات قد تكون أو لا تكون، وأخوف ما يخشاه بعض التربويين أن تكون بعض الكتابات التربوية والممارسات غير الموثقة مثل بعض البحوث السهلة التي لا تحتاج إلى فكر وعمق ودراية ودراسة وممارسة ميدانية أصيلة وطويلة، أو أن تكون التربية مثل بعض الدراسات أو أن تصبح كحال بعض الثقافات بضاعة المفلسين أو كما يقال في المثل (دراسة شهر وخصومة دهر) حيث التربية مادة حية طرية ندية مفرحة مُسْعِدَةٌ لكن بيد أصحابها والمتخصصين بها، وحتى المواد السهلة ذات العذوبة والطرافة أفضليتها أن تكون بيد أهلها والمهتمين بها لا من هو عيال عليها أجنبي منها والذي أود طرحه وبيانه هنا لماذا جل المواد النظرية بيد أصحابها والمهتمين بها عدى التربية فهي أحياناً ميدان للجميع كل يدلي بدلوه ويعطي رأيه ولو كان فجاً سمجاً معوجاً لا يمت إلى الحقيقة بصلة، أما المواد العلمية فقد حالت هي بنفسها وبين المدعين لها بحكم صعوبتها، ولا يغشاها غالباً سوى أصحاب الشأن أهل التحقيق والتدقيق والتوثيق، إن التربويين في بعض البلاد لطف الله بحالهم وخاصة من هم على رأس المسؤولية يقفون أحياناً حائرين تجاه هذا الكم الهائل وأحياناً المائل من النشر والاقتراحات

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٣. وسورة الأنبياء الآية ٧.

والتنظير عسير التطبيق والتحقيق، أما التربوي البعيد عن المسؤولية فقد أراح نفسه وحِسّهْ أعفاهما من المتابعة لأمور تتعارض مع فكره وعلمه وتقعيده، فالفكر الأصيل غير الدخيل والمادة الموثقة والبحوث الموفقة لا يمكن أن تجتمع مع الانشاء والتسطيح والتنظير والرأي الفردي عديم الأصول والجذور والبذور أو ما يسميه العرب (بحاطب ليل) وأقول هنا أيضاً هل بإمكاننا وضع المهندس مثلاً مكان الطبيب أو العكس؟ وإذا ما أهمتك كثيراً مسألة ما في الفقه الإسلامي وأنت حريص على الفقه في دينك هل تسأل أيَ إنسان ولو كان مثقفاً ثقافة عامة؟ الجواب بكل تأكيد هو لا فالناس كلهم يعرفون ذلك ويعلمونه حق العلم الجاهل والعالم وطالب العلم وغيرهم، إذاً لماذا لا نعطي للتربويين الميدان ونرجع إليهم بعد الله وهم بحمد الله كثير وعددعم وفير؟ أما الكتابات ممن ليس لديهم المقومات ولا المؤهلات ولا الدربة الصحيحة ولا المران الجيد ولا الخبرة الكافية ولا الندرة المعافية فستبقى كما نلحظ ونشاهد ونعايش ضعيفةً هزيلةً وشائهة وأحياناً شائنة، ونظراً لكون التربية والتعليم سمة العصر وهما من المواد العذبة الحية البهية المحببة للنفوس القريبة تماماً إلى القلوب فالأكثر من غير فرسانها يدعيها ويمتطيها وأنى لهم بذلك بدون المقومات المطلوبة والآلية المفيدة والأهلية الكافية أو ما يسميه بعض التربويين من المسلمين (المَلَكة) عند الشخص، إنك تجد أحياناً من يكتبون وينظّرون ويقترحون والبعض منهم بعيد كل البعد عن أصول وقواعد هذا الفن وجذوره وأسسه ومقوماته فهو كما قيل يهرف بما لا يعرف والتربويون يقولون لهذا وأمثاله.

إذا لـم تـسـتـطـع شـيـئـاً فـدعـه   وجـاوزه إلـى مـا تـسـتـطـيـع

ورحم الله أمرءاً عرف قدر نفسه وألزمها جادة الصواب وألجمها بلجام الحكمة، أما الخطب في بعض المناسبات واللقاءات التربوية وغيرها، والأحاديث في المجالس العامة والخاصة فتعرف منها وتنكر، والأعجب من ذلك كله أن بعض النشرات والمجلات والكتيبات والبحوث في بلاد الله الواسعة نجد أحياناً من يقوم عليها ويشرف على مادتها ويقوّم كلماتها

وكتابتها ويكتب فيها ويرغي ولا يزبد من غير التربويين ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾[1].

الكل يود وصل ليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

فليس كل من حسن أسلوبه ونمق كلامه ودبج عباراته وتفنن في ضروب الإنشاء المختلفة وأكثر النقد أو التجريح أو الثناء والمديح يسمى تربوياً للأسباب سالفة الذكر، أما المواقع التربوية والأماكن العملية في مجال التربية والتعليم ووجوب شغلها بالمتخصصين والنابهين المجيدين فلهذا الموضوع الكبير والهام بحث يخصه إن شاء الله تعالى أرجو أن أكون قد وفقت في عرض وإثارة موضوع كبير وهام جدير بالبحث والمتابعة والتقصي الدقيق من قبل رجال التربية والتعليم وفرسانها المجيدين.



(١) سورة يس: الآية ٣٠.

ـ ١٤ ـ
البداية الجادة مطلب تربوي هام
(١)

في صباح أول يوم من العام الدراسي تفتح مدارسنا وجامعتنا للبنين والبنات أبوابها للدارسين وتبذل الجهات المعنية جهوداً طيبة لاستقبال الطلاب بعد أن تمتعوا بوقت ليس بالقصير للراحة والاستجمام، والذي يفترض أن يكونوا بعد هذه المدة الطويلة من الراحة أكثر شوقاً ورغبةً في مقاعد الدراسة ومناهل العلم والمعرفة، والسؤال الوارد هنا هل كل الطلبة يفعل ذلك ويقدر الجهد والعلم والمال في سبيل ما أشير إليه، الجواب وكما هو معروف ليس كل الطلبة يفعل ذلك وهذا الكثير منا علمه ووعاه ووثقه وقد بذلت الجهات المعنية ولسنوات طويلة جهوداً مكثفة تمثلت في الأعم والأغلب في المقدور عليه من الاتصالات والتعاميم والنشرات، والمقالات المختلفة والزيارات والمتابعات الميدانية من قبل أهل الشأن ولكن هل هذه الجهود القديمة الحديثة أنهت المسألة أم لا، لا شك أن لكل عمل نتيجة وثمرة والفائدة موجودة ولكن المسألة لا زالت تحتاج إلى مزيد من الفهم والمعالجة وبطريقة أدق وأعمق، وهي مسألة موجودة في كثير من بلاد الله الواسعة ولكنها بنسب مختلفة، يحكمها في الأعم الأغلب العمق التربوي والتوجه المعرفي من قبل جهات عدة أهمها المدرسة والمدرس بالذات الذي هو لب العملية التعليمية وأُسُّها بل هو لب اللباب في هذا الباب والذي اعتاده البعض من الطلبة أن الأسبوع الأول من الدراسة فترة تجمع والأسبوع الأخير منها فترة تَقَطُّع وليس الأسبوع الأول من الدراسة بأسعد من الأسبوع الأخير منها لذا يكون أحياناً الحرج لمسؤولي التربية والتعليم واضحاً في هذين الأسبوعين، والمتحدث والمعالج إنما يصلح

ما يمكن إصلاحه وبطريقة تربوية معتبرة، والعلاج بعد توفيق الله في نظري ومن واقع الخبرة والمعايشة ينحصر غالباً في جهتين، مدرسة مهتمَة نابهة ويمثلها غالباً مدرس مقتدر وبيت مهتم تربوياً، لا سيما ونحن إذا رجعنا إلى التربية المقارنة وجدنا أننا من أطول الناس إجازة، وعامنا الدراسي قد يكون من أقصر الأعوام، وإذا ما أردنا معالجة هذه المسألة بدقة والوصول بها إلى حل جيد فلا بد أن يكون الطالب الجامعي مثلاً وولي الأمر في المراحل الأخرى جادين في ذلك لديهم الرغبة الأكيدة والمحاسبة الدقيقة، واليوم الأول والأخير كالأيام الأخرى متابعة واهتماماً، أما المدرسة والمدرس بالذات فهما الأساس والمرتكز في ذلك، وبعض الطلبة، (إن صدقاً وإن كذباً) يعزون ذلك إلى بعض المدارس وبعض المدرسين، وإذا ما سأله أبوه أو أخوه قال ليس هناك دراسة أو كلمة نحوها وقد يكون غير صادق في ذلك لكن العادة غالباً لها دخل واضح في قناعات الناس وعلماء التربية من المسلمين يوصون جيداً بضرورة تلاقى الأسرة مع المدرسة وسائر المؤسسات التربوية حول الأسس الصحيحة للتربية المثلى في هذا وغيره فالمدرسة والمجتمع متلازمان تربوياً رقياً وتخلفاً فحيثما يكون مستوى المجتمع غالباً يكون مستوى المدرسة ومن وظائف المدرسة الأساسية أنها تعمل على زيادة كفاية المجتمع وفاعليته والمدرسة التي غلب عليها أسلوب التلقين فقط لا تستطيع الوفاء بالمتطلبات التربوية الأخرى، وأي مجتمع في أي زمان أو مكان يتطلب نوعاً معيناً من التربية الجادة وهو في هذا يسعى نحو الأفضل، وهذا يتطلب أهدافاً معينة يحددها رجال التربية المخلصون المتخصصون، والمدرس هو العقل المنفذ لتحقيق تلك الآمال والطموحات والأهداف، ويقاس مدى تقدمها ونجاحها بمدى تقدمه ونجاحه في أدائه لعمله، ولا شك هنا أن تزاحم الأهداف التربوية والتعليمية، وكثرة القنوات المصدرة لتلك الأهداف أثرت سلباً في بعض الأحيان، يضاف إلى ذلك أمور أخرى يعرفها المتخصصون وواجب المعلم في هذه المسألة وغيرها كبير وقد كتب عن واجبات المعلم الكثير من علماء المسلمين كما تقصى ذلك العديد من رجال التربية من المسلمين فقالوا إن ممن كتب في ذلك وأجاد ويحسن الرجوع إليه

من قبل المعلمين خاصة/ عبد الله بن المقفع ـ في كتابه الأدب الصغير والأدب الكبير، وابن سحنون ــ في رسالته آداب المعلمين والمتعلمين والقابسي في آداب المعلمين والمتعلمين، والماوردي في أدب الدنيا والدين، وصاحب كتاب قناطر الخيرات، والشيخ/ عبد الباسط العلموي ــ في كتابه: (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) والقرطبي في كتابه جامع بيان العلم وفضله، وبرهان الدين الزرنوجي في كتابه تعليم المتعلم طريق التعلم وغيرهم كثير وهناك شبه إتفاق بين هؤلاء الأئمة الأعلام حول واجبات المعلم وهي كثيرة أرجو أن تتاح الفرصة للحديث عنها إن شاء الله فيما بعد ولكن أهم هذه الصفات ما نحن بصدده الآن وهو التعاون مع الجهات ذات العلاقة في الضبط والربط وشغل الوقت فيما هو نافع ومفيد ومحاسبة النفس أولاً ثم الطلبة ثانياً والتعليم مهنة ولا بد للمهنة من الإجادة قال: ابن عبدون في رسالته (والتعليم صناعة والصناعة تحتاج إلى سياسة ولطف فإنه كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأنيس حتى يرتاض ويقبل التعليم) لذا فإن المدرس ذا الهمة العالية والضمير اليقظ والتوجه التربوي الصادق هو الذي يعطي للمدرسة الناهضة الانضباط وحفظ الوقت والإنتاجية المفيدة وقد ذكر علماؤنا أن من أهم واجبات المدرس المهتم ألا ينشغل عن تلاميذه بأي شيء آخر، وأن يكون أوسع الناس صدراً وأكثرهم صبراً وأجملهم لقاء وأحسنهم أخلاقاً والمدرس الجاد يساعد كثيراً فيما نحن بصدد الحديث عنه ويرفع الحرج عن مدرسته ومنطقته وهو أجير وللأجير حتى يَحِلَّ أجره شرطان:

١ ــ حفظ الوقت.

٢ ــ الإنتاج فيه.

والوقت هو عمر الإنسان والعاقل يصونه عن الإضاعة والإهمال والجدية في الاهتمامات، مطلب تربوي جيد ينفذها المدرس ويغرسها في نفوس طلابه فهي من أولى اهتماماته التربوية حيث أفعاله وأقواله طموحة غالباً تتجاوز الكثير مما يشغل البعض من الناس من اهتمامات فارغه تنبيء عن سطحية وسذاجة وقرب نظر، والمعلم قدوة ومدرسة متنقلة في جميع ما يأتي وما يذر فحفظه

لوقته وإثراؤه للجو المدرسي بمختلف الأفعال والأقوال تعليم جيد مصاحب لما هو بصدده وربط الطلبة بالحصة واهتمامهم بالمدرسة وحبهم لها نابع من أفعاله وأقواله كما أن كره الطلبة للمدرسة وتقطعهم في الحضور وفرحهم بالإجازة وغيابهم غير المبرر سببه ولا شك المدرسة والمدرس، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره وأتى إليه ومدرسة اليوم والمدرس أيضاً بحاجة إلى التعمق في هذا المفهوم لماذا يا ترى لا يحب بعض الطلبة المدرسة؟ لماذا ينقطعون مبكرين ولا يعودون إليها بعد الإجازة إلا متأخرين وأحياناً متثاقلين أو كارهين؟ ينبغي للمدرسة أن تعيد النظر في نفسها دوماً وتُقَّيم ما لديها من أعمال تربوية وهل كل ما لديها محبب للطالب؟ هل لديها وسائل جذب وترغيب وتحبيب أم يوجد أحياناً عكس ذلك؟ والطالب إنسان، يرغب ويرهب (ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا) والأسود تروض بل أحياناً تذلل صحيح أنه أدخل أحياناً وفي بلاد الله الواسعة على هذه المهنة العظيمة، مهنة التربية والتعليم أقول أدخل عليها من لا يعرف أصولها، ومع الأسف الشديد في مختلف المواقع، وهذا بحث له مكانه إن شاء الله لكنني أعود وأقول معالجة تقطع الطلاب بدءاً ونهاية يبدأ من المدرسة ومن المدرس نفسه، فالمدرسة النابهة ذات رسالة وهدف وكذلك المدرس، وكلما زادت أهمية وقيمة الهدف زادت إثارته لهمة وحماس صاحبه، وكلما زاد علو الهدف زاد علو صاحبه، إن واجب معلم الصف داخل حجرات الدراسة لا يقتصر على إعطائه المعلومات، وإنما يتعدى ذلك إلى كل ما يحيط بالعملية التعليمية والتربوية، والإدارةُ الصفية فنٌ ومنهج ومن شأنها أن تخلق المناخ التعليمي المناسب لبلوغ الأهداف التربوية مثل ضبط النظام وتفقد الحضور والغياب واستخدام الطرق التربوية ذات الجذب الطلابي وإثارة الانتباه والتشويق والتحبيب وإيجاد روح المنافسة وهذه توجد التفاعل الفاعل بين المعلم وطلابه وتوجد جواً تربوياً ندياً طلقاً يجد فيه الطالب الراحة والسعادة والمتعة والأمن فيزيد من فاعليته وقابليته ويثير عنده الرغبة والاهتمام فيقبل على مدرسته وعلى معلمه بنَهَم ورغبة وسرور، إن سلوك المعلم داخل الصف ونوع المعاملة لطلابه والجو العام الذي يحيط به وبهم يؤثر على تقبلهم له ولتصرفاته

ويزيد من إقبالهم عليه أو الابتعاد عنه فإذا كان ودوداً مخلصاً لهم لطيفاً في تعامله معهم يشعرهم باللطف والعطف والحنان شعروا بالراحة في صحبته وزادوا من ثقتهم به واحترامهم له وتقبلوا منه كل نصح وإرشاد واتسم العمل بالجودة والسداد، وإذا كان غير ذلك لا سمح الله فقدوا كل دافع في التعامل معه وكرهوا المدرسة وألحق الضرر بصحتهم الجسمية والنفسية وأصبح إقبالهم على المدرسة ضعيفاً، إن تنمية الانضباط الذاتي وحب المدرسة أمر بعد الله في يد المدرسين الأكفاء الأمناء النصحاء، ثم إن من أهم عوامل الجذب والتشويق إشعار الطالب بأهمية وقيمة ما يتعلمه، وللغياب عند التربويين أسباب عديدة أهمها، كره الطالب للمدرسة وللمدرس، أو قصوره في التحصيل، أو الخوف من المعلم، أو من بعض الطلبة وكذلك الحالة العامة للطالب، أو إهمال الوالدين أو نحو ذلك، ومما سبق ومن كلام المربين بوجه عام يتضح أن أسباب الغياب بدءاً ونهاية جلها من الأسر إشرافاً ومتابعةً، ومن المدرسة والمدرس بوجه أخص فلو قام الجميع بواجبهم خير قيام لتحسنت الصورة كثيراً ولزال العناء والحرج.



- ١٥ -
البداية الجادة مطلب تربوي هام
(٢)

في النفس الإنسانية ضعفٌ أساسه ما رُكِّب فيها من شهوات وما يعَرض لها من شبهات أو مغريات، وما يستولي عليها أحياناً من غفلة، وما تتعرض له من إغواءٍ أو إغراء ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[1] والعبادات فيَ الإسلام في مجموعها صلاح وفلاح ديناً ودنيا، وهي في الوقت نفسه طريق جيد وموصل للتغلب على هذا الضعف ومقاومته وسبيل إلى التألق والتسامي والانعتاق من رق الشهوة وغيرها من المثبطات، وعهد الله لآدم عليه السلام لا بد منه تربوياً لِبَنيه لتربية الإرادة وتأكيد الشخصية والتحرر الكامل من رغائب النفس وشهواتها المذلة، فلا تستعبدها الرغائب والمطالب وتقهرها كما يلاحظ في كثير من دنيا الناس، وكلما كانت النفس البشرية أقدر على ضبط رغباتها كانت أسلم، وكلما ضعفت أمام المغريات والملهيات كان ذلك سبباً في ضعفها وهوانها وقلةِ عطائها ووفائها بما يطلب منها، والتربوي الكفء بعد الله أقدر الناس على ضبط رغباته وشهواته وما تميل إليه نفسه، كما أنه بحول الله أقدر على القيام بالواجب بوحي من إيمانه وثوابته التربوية الأصيلة والتربية القرآنية حين تعرض للضعف البشري لا تحترمه وتعالجه من جذوره بعلاج عملي واقعي، فهي تعالج جذوره في النفس حتى تطهره من أسبابه ودواعيه، ومعرفة النفس البشرية ضرورة ملحة، فهي حصن أحكمت أقفاله، وهي عصيةٌ لا تلين إلا للتربية القرآنية، وأي منهج يهدف إلى تربيتها، وأي نظامٍ يريد أن

---

(١) سورة طه: الآية ١١٥.

يقومها، وأيٌ جُهد يبذل بغير هذه التربية الفذة جهد خاسر، وتعب ضائع لأنه بني على جهلٍ وضلال، والدليل الأكيد على ذلك وهو لا يحتاج إلى دليل، فشل هذا الترقيع والتلميع للتربية الوافدة في العالم الإسلامي، وإذا كانت التربية الإسلامية تميزت بالتأكيد والتركيز على الجانب الإيماني أو الرباني كما يقول التربويون المسلمون، فإنها كذلك تميزت بالتكامل والشمول في جميع جوانب التربية تريد من المرء دوماً الفعل قبل القول، فلا يقول قبل أن يعمل، ولا يعمل إلا ليتقن، والمرء دائماً يوزن بأفعاله لا بأقواله وقد مل الناس التنَظير والهراء الكثير والكلمات الرنانة والعاطفية ونقل ثُغَاءِ وَرُغَاءِ الآخرين، والتربوي أولى من غيره بسلوك هذا الاتجاه وتعميمه وتعميقه في نفوس طلابه ومن حوله ولن يكتب للمعلم النجاح والسداد في مهمته إلا إذا كان سليم التصور صحيح العقيدة رفيع (غير رقيع التربية) أُشرب أصولها وفروعها من القرآن العزيز، والسنة النبوية الكريمة، ولهذا نجد كبار الأئمة أمثال الإمام مالك رحمه الله، يحرصون كل الحرص على إبعاد أولاد المسلمين عن تعليم اليهود والنصارى، ويقول علماء التربية من المسلمين إن هذا موقف حي ومُتَبَصِّرٌ وعلى درجةٍ كبيرة من الوعي والحكمة حيث حرفوا كتابهم وبدلوا كلمات ربهم. ويقولون أيضاً إن مثل هذه اليقظة الشديدة وهذه الحساسية المرهفة هي التي حفظت بعد الله الإسلام مما قد يعرض له أو يشوبه خفيةً من تياراتٍ ملحدةٍ، أو أمشاج الثقافات الأجنبية التي تتجافى وصفاء ونقاء الإسلام، وينهج التربويون من المسلمين منهج السلف الصالح في الحرص على إبعاد الكفرة والعصاة من مخالطة أبناء المسلمين حفظاً لهم من أخطار التلوث الذهني والخلط الفكري وهو أمرٌ بين المصلحة وهو يخالف ولا شك تلك الدعوات غير الرشيدة للتفتح غير المنضبط الذي وجد في بعض ديار الإسلام فأساء إلى التربية الإسلامية الماجدة ذات الأصول والجذور المتينة والعميقة، والتربية الجادة طريق الرسل الكرام ومن نهج نهجهم على مر العصور والأزمان والمعلم المقتدر يعلم بفعله وأدبه وسمته وحشمته ووقاره وهيئته قبل أن يعلم بقوله، قال: وهب تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه، قال: الشاطبي رحمه الله (من أنفع طرق العلم الموصل

إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام) وقال: أيضاً من شروطهم في العالم أن يكون عارفاً بأصوله وما يبني عليه ذلك العلم قادراً على التعبير عن مقصوده فيه، وقال: أيضاً وللعالم المحقق بالعلم أمارات وعلامات تتفق مع ما تقدم (من قولٍ سابق) وهي ثلاث إولاها: العمل بما علم حتى يكون قوله مطابقاً لفعله، فإن كان مخالفاً له فليس بأهل لأن يؤخذ عنه، ولا أن يقتدي به في علم.

الثانية: أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم، فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك وهكذا كان شأن السلف الصالح.

الثالثة: الاقتداء بمن أخذ عنه والتأدب بأدبه كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ واقتداء التابعين بالصحابة فلما تُرك هذا الوصف رفعت البدعُ رؤوسها اهـ، وإذا كان من المُسَّلم به لدى العقلاء أن التربية قضية جادة، وإلا فلا تربية ولا تحصيل، والكتاب العزيز، وهو أسُّ التربية الجادة وجذرها الأصيل، يقول مخاطباً نبي الله يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾[1] نودي ليحمل الْعِبْء وينهض بالأمانة الثقيلة في قوةٍ وعزم، ولا يَضْعُف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكاليف الوراثة، والمعلم المسلم وارثٌ لهذا العلم الكريم، وعليه أن ينهض بالتبعة الكبرى ـ ولذا قال التربويون المسلمون التعليم ميراث أنبياء، ووارث الأنبياء يلزمه أن يرث الصفات المميزة للأنبياء في إبلاغ رسالات ربهم، ومن صفاتهم ما حكاه القرآن هنا حيث قال: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾[2] والحنان هبة ربانية لا يتكلفه ولا يتعلمه، والحنان صفة كريمة للأنبياء ولمن يقتدي بهم مثل المدرسين ونحوهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ موصولاً بالله، وهذه أهم صفات المدرس الكفء، ومن الوثائق التربوية الهامة، والتربية الجادة بالذات ما حكاه الله تعالى

(١) سورة مريم: الآية ١٢.
(٢) سورة مريم: الآية ١٣.

عن موسى عليه السلام حيث قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[1] وأعمال التربويين المسلمين مستسقاةٌ من منهج المرسلين يجب أن تؤخذ بقوة، وأن يكون للعمل التربوي جديته في النفس وصراحته وحزمه وحَسْمَه، ولا يؤخذ كما يفعل البعض في رخاوة وتميع وعدم اهتمام بل بجد وهمة وحسم وصراحه، وتذمم، وبمناسبة[2] عودة المدرسين والطلاب إلى أماكن الطلب وغرف الدراسة، على المدرس أن يهتم بدرسه وطلابه وأن يحفظ وقته وجهده، ويسخر جميع قدراته وإمكاناته لنفع وإسعاد طلابه، وقد فرض التربويون المسلمون على المعلم الكفء جملةً من الآداب والأخلاق، فهذا الإمام ابن سحنون حرم على المعلم الانشغال عن تلاميذه ودعاه لصرف كل وقته وجهده وطاقته لهم حتى أنه حرم عليه حضور صلاة الجنازة فضلاً عن عيادة المرضى أثناء قيامه بواجبه التربوي فوقته ليس ملكاً له بل هو ملك لهم ونجد ذلك واضحاً في كلام أبي الحسن القابس حيث كان يحرم على المربي أن يتخلف عن تلاميذه، لأداء الشهادات فضلاً عن حضور غيرها، ويقول إذا اضطر للتشاغل عنهم فعليه أن يعوضهم من وقت فراغه، وحيث جرت العادة أحياناً أن يكون الأسبوع الأول من بداية الدراسة فترة تجمع، والأسبوع الأخير فترة تقطع وهو أمر غير مرغوب ولا مستساغ لدى المربين، فإن على المدرسة النابهة محاولة تلافي ذلك قدر الطاقة وبالطرق التربوية المسلم بها. ولِتقطع الطلبة أسبابٌ وهو داخل ضمن مفهوم كراهية بعض الطلبة للمدرسة والسبب أحياناً المدرسة ذاتُها أو المدرس نفسه، والكلام هنا وفي غيره يقال للمدرس والمدرسة في حال التقصير، أما الجادون وما أكثرهم والحمد له فهم براء من هذا وغيره، فالمدرسة الجادة والمدرس المهتم تقلُ أو تنعدم عندهم مثل هذه السلبيات أعني تقطع الطلاب وعدم انتظامهم واهتمامهم في الأيام الأولُ من

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٥.

(٢) المراد في مطلع كل عام دراسي.

الدراسة، وكل علاج أو تنظيم سوى ما ذكر سيبقى محل نظر، والسؤال هنا الآن هل أصبحت المدرسة بما فيها محل إغراء وجذبٍ للطالب، ويدخل تحت هذه الفقرة الكثير من كلام التربويين، وثانياً هل المدرس بعلمه وخلقه وتعامله وتجديده لمادته وإفادته لطلابه وحفظه لوقته، وإنتاجه فيه أصبح أيضاً موضوع رغبة وتسابق من قبل طلابه، الطالب إنسان يهوى الجمال والكمال والتفوق والتجديد المفيد، نعم الطالب مهما كان عمره يعشق كثيراً الماهر في مهنته المبتكر في أساليب تعليمه، المحب كثيراً لوظيفته وطلابه، يبذل جهده في التربية الحسنة، فهو يربي ويعلم في آنٍ واحد، ولدى المدرس الكفء، النشط البحاثة من الآراء والطرق الحديثة والدراسات الجادة في التربية ما يغذي به روحه وعقله، أما المدرس الآخر المتردد المتشكك الهازل غير الجاد فقد يشك في كل شيء وقد يترددْ في البدهيات، والتربية الجيدة تتطلب جعل الدروس والمواد المدروسة، والمدرس نفسه محبوباً لدى التلاميذ، كما أن قيام التلاميذ بنصيبهم من أعمال المدرسة أمر هام وكبير، وبهذا وغيره من الطرق والمعارف التربوية نملأ أيام الطالب بالسعادة والتعليم السّارّ المثمر ولقد قال علماء التربية من المسلْمين (أحياناً قد تمر بالمعلم أوقاتٌ يختل فيها مزاجه ويتعكر صفاؤه ويعتل تفكيره وتدبيره) فعليه والحالة هذه ألا يعلم طلابه، إذ قد تزيغُ به الطرق ويكون الخطأ، ولهذا أيضاً نصح المربون المسلمون المعلم المقتدر ألّا يدرس في وقت جوعه أو عطشه، أو همه أو غمه، أو غضبه أو نعاسه، أو قلقه، ولا في حال برده المؤلم، أو حَرِّه المزعج ويعللون ذلك كله بأنه ربما قال بغير الصواب فيقع المحذور ومما يعين بعد الله على الضبط والربط والانتظام من أول يوم من بداية الدراسة وهو مستخلص من كلام أهل الاختصاص ما يلي:

١ ـ حفظ الوقت ومحاسبة النفس فالموظف والمدرس أيضاً أجير وواجب الأجير الوفاء والتَّمامُ وإلا لَمْ يقم بالواجبُ ولم يَحلّ له الأجر.

٢ ـ الإنتاج المفيد وبذل المستطاع واستفراغ الجهد ما أمكن.

٣ ـ محاولة الاطلاع على الجديد المفيد والقديم الكريم في مجال التربية والتعليم.

٤ ـ التسلح بالعلم النافع، وأن تكون المادة جيدة ومعدة ومرتبة حسب الطاقة.

٥ ـ عدم التأخر عن بداية الحصة أو المحاضرة ومحاسبة النفس بحزم وعزم.

٦ ـ عدم الغياب بلا عذر ظاهر وقاهر ففي ذلك إخلال بالعمل وعدم وفاء بالواجب كما أنه فيه إثقال على الزملاء لا مبرر له.

٧ ـ للعمق التربوي والتأصيل المعرفي أثر كبير في تعديل المخالفات وتحسين العادات.

٨ ـ شغل الحصة أو المحاضرة بما هو نافع ومفيد، وعدم الخوض في أحاديث غثة أو باردة، ولا ينظر للطالب الغائب ويهمل الحاضر بحجة قلة الحاضرين وهذه من أهم وسائل المعالجة الحازمة فمصلحة الحاضر أهم من انتظار الغائب وكان الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دروسه كثيراً ما يتمثل بهذا البيت الرابع:

أُهينُ لهم نفسي لأكرمهم بها ... وَلَنْ تكرم النَفسَ التي لا تهينها



المدرس الكفء يحافظ على الوقت وينتج فيه

مع مطلع كل عام دراسي جديد، جعله الله عام خير وسعد وتوفيق نهيئ أنفسنا ومواطنينا ومعلمينا ورجال التربية والتعليم، وأبناءنا الطلاب راجين للجميع كل خير وسداد كما أنني أجد ذلك مناسبة كريمة للتذكير ببعض النقاط التربوية، من أجل المساهمة قدر الطاقة في الوصول إلى تربية أجمل وأفضل، علماً أنني لا أشك بحول الله في قدرات، ومهارات، ومواهب إخواننا التربويين، لكنها ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين، حيث لا يخفى على أحد أهمية الوقت، وقيمة عمر المسلم، وأنه جوهرة ثمينة لا تقدر بثمن، ويستوي في ذلك المدرسون والطلاب، كما أن العام الدراسي الواحد لبنة متينة وثمينة في صرح معرفتنا وتعليمنا، وتربيتنا، التي نرجو لها أن تكون تربية جادة وقاصدة ومفيدة، في وقت نحن أحرص ما نكون على التزود من العلم والمعرفة للوصول بالطالب (الذي هو لب اللباب في العملية التعليمية) إلى الغايات الحميدة والرشيدة التي نريدها، فالمدارس عندنا وعند غيرنا تفتح أبوابها وتستقبل طلابها على اختلاف بين في ذلك فيما بينها، وإنه لما يعين على إنجاح أي عام دراسي، أن يعرف المدرسون والطلاب وأولياء أمورهم الطريق الأمثل لذلك وهو سهل وميسور بحول الله، ومن أهم ذلك، علو الهمة وكبر النفس، والنظرة البعيدة، ومعرفة أهداف التربية عند علمائها من المسلمين، حيث لخصها مشاهيرهم بالآتي:

١ ـ معرفة الإنسان لربه، ونبيه ودينه بأدلته.

٢ ـ معرفة الإنسان مسؤولياته الفردية في هذه الدنيا.

٣ ـ معرفة الإنسان علاقاته الاجتماعية ضمن نظام إسلامي رشيد.

٤ ـ إدراك حكمة الخالق في الإبداع وتمكين الإنسان من استثمارها.

ونظراً لأهمية الجد والاجتهاد في العام الدراسي كله، وخاصة الأسبوع الأول والأخير، حيث اعتاد البعض أن يكون الأسبوع الأول للتجمع والأخير للتقطع مما يوقع البعض من التربويين خاصة في المدارس في حرج شديد، وللتعاون في معالجة مثل ذلك أقول: ينبغي للمدرسة الناهضة المدرسة المهتمة كثيراً برسالتها التربوية، أن تهيئ طلابها لذلك في وقت مبكر توعية وإعداد ومتابعة جادة وبالطرق التربوية الممكنة ويشارك في ذلك جميع منسوبي المدرسة وبقناعة تامة وتكون المحاسبة في ذلك دقيقة ورفيقة حتى يعي الطلاب ذلك تماماً ويكون أمراً محترماً وقاعدة يسار عليها لا على الورق فقط ولكن تطبيق عملي واقعي يحس المخالف له أنه خرج عن المألوف والقاعدة العامة ولوعودّ الناس على ذلك بحزم وعزم لاعتادوه وأصبح أمراً هيناً ومألوفاً ومعروفاً لكن التساهل أحياناً وقبول الأعذار، وكون ذلك خطأ مشهوراً، ولا حساب ولا عتاب جعل الأمر بهذه السهولة المكررة كل عام تقريباً، أما المدرس فواجبه في هذا كبير وأثره عظيم فعليه أن يراقب ربه وهو أهل لذلك إن شاء الله والكلام يوجه للمخالف فقط في مثل هذا، أما الخيرون وهم كثير فنسأل الله لهم التوفيق والإعانة، لكن مما يساعد على تأخر الطلاب من جانب المدرس أمور من أهمها التأخر عن الحصة بدون مبرر الأمر الذي يسبب قلقاً لدى الطلاب خاصة أول العام ويترك فوضى في الصف ويوجد الملل والسأم عند الطلبة يضاف إلى ذلك ضياع الحصة وحرمان الطلبة من العلم الذي حضروا من أجله كذلك الغياب بدون عذر مشروع، وهو يحلو لبعض الناس أحياناً بحجج واهية وأعذار باردة مع ما فيه من قلة الأمانة وخير من يحملها المعلم المسلم، كما أن في ذلك إحراجاً للمدرسة والمدرسين بدون سبب مقنع كما أن من أسوأ ذلك شغل الحصة بما لا ينفع من أحاديث لا تمت إلى التربية والتعليم بصلة وهذا يحصل أحياناً خاصةً أول العام وآخره، وهي مما ينفر الطلبة من المدرسة ويقلل رغبتهم فيها وفي المدرس أيضاً، لذا يجب على المعلم المسلم أن يحاسب نفسه ويحزم أمره فالموظف أجير وحل الأجرة مربوط بكمال وصلاح العمل،

والبعد عن التكرار الممل بلا مبرر فبعض الأحاديث إذا أعيد وكرر ملته الأسماع وكرهته الطباع، ومن هنا قال الشاعر وأجاد (واللحن المكرر يسأم) ومن هنا تجلت عظمة الكتاب والسنة فهما مع التكرار يزيدان حلاوةً وبهجةً وعلواً، ومن هنا قال الآخر: (ما أحلى مذاق الشهد وهو مكرر) والمدرس الكفء بحاجة ماسة إلى الصحبة الطيبة والنخبة المباركة (خاصة المدرس الجديد)، ليرى ويسمع ويقلد في الخير والحزم وأداء الأمانة والقيام بالواجب دونما كسل أو ملل، والإنسان في هذه الدنيا لا يستطيع العيش وحيداً ولا فريداً لا بد من الصديق يلاقيه ويناجيه ويواسيه ويسليه، وكلما علا كعب الإنسان في مراتب ومواكب الرجال، والأخيار ازداد بذلك علماً وفهماً وتجربة وفضلاً ونبلاً، والأنبياء هم النماذج الخيرة للبشر على مر العصور، فكانوا يعرفون للصداقة حقها وللصديق مكانته ومنزلته، ومن الدعاء المأثور في ذلك (اللهم لا تُسيء بي صديقي، ولا تُشمت بي عدوي) ومن أهم أماكن الصحبة ومواطن العلاقة المتينة مجالس المعلمين وهو فرصة ثمينة لطرح الآراء والأفكار والتجارب المفيدة والمسائل العلمية النافعة والقواعد التربوية الأصيلة والتطرق دوماً إلى مشاكل الطلبة وكيف حلها، ومحاولة الإقلال من الحديث عن الدنيا وشهواتها ومَلَاذِّها، فلديهم ما يشغلهم عن ذلك وما أحلى في هذا كلام الأحنف بن قيس ﷺ حيث قال: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إني أبغض الرجل يكون وصافاً لبطنه وفرجه، ثم هناك أمر هام وكبير وهو متابعة ولي الأمر والأسرة عموماً للبنين والبنات وحثهم على الانتظام والاهتمام في وقت مبكر والمتابعة الدقيقة في ذلك صحيح أن البعض من الطلبة والطالبات عود نفسه خلال الإجازة على السهر الطويل والنوم الكثير نهاراً وهذا الأمر مع مخالفته لما ينبغي أن يكون من النوم المبكر والقيام المبكر في كل وقت وحين إلا أن الاهتمام مع بداية العام أمر في غاية الأهمية، ولا بد من تعويد الشباب، والطلاب على الجد والاهتمام ولولي الأمر في ذلك مقام كبير وأثر عظيم، والمدرسة والجهات التربوية عموماً ينبغي ألا تبقى في الميدان وحدها فلا بد من التعاون والتلاحم. هذه بعض نقاط هامة سقتها في هذه المناسبة

مناسبة بداية العام الدراسي[1] الجديد لتلاقي بعض السلبيات التي قد توجد أحياناً أو كثيراً حسب الأحوال والظروف، وخير معين على ذلك من قبل التربويين وأولياء الأمور هو خوف الله ومراقبته وما يسميه التربويون من المسلمين (بمسألة التذمم) في هذا المجال، فالطالب أمانة عظيمة عند والديه ومعلميه، وأيضاً فينبغي للطالب المدرك أن يهتم ولا يغتم ببداية العام الدراسي وأن يفرح ويستبشر بقدومه ويعد له عدته وهبته وأن يستثمر وقته وجهده وصحته وفراغه كما عليه أن يستثمر هذه الفرص الطيبة التي يسرت له وأن يعرف أن مرحلة الشباب مرحلة قصيرة وأن وقت الطلب معين ومحدود فالواجب الحرص والحزم والعزم قبل فوات الأوان ولعلامة القصيم الشيخ/ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه المناسبة كلام تربوي جميل رائع موجه إلى المدرسين والطلاب حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ ما ملخصه (ومن أهم ما يتعين على أهل العلم معلمين، أو متعلمين، السعي في جمع كلمتهم وتأليف القلوب وحسم أسباب الشر والبغضاء بينهم لأن المطلوب واحد والمصلحة مشتركة ويحققون هذا الأمر بمحبة كل من كان من أهل العلم ومن له قدم فيه واشتغال أو نصح ولا يدعون الأغراض الضارة تملكهم وتمنعهم من هذا المقصود الجليل فيحب بعضهم بعضاً ويذب بعضهم عن بعض، ويبذلون النصح لمن رأوه منحرفاً عن الآخرة، ويبرهنون على أن النزاع في الأمور الجزئية التي تدعو إلى ضد المحبة والائتلاف لا تقدم على الأمور الكلية التي فيها جمع الكلمة) إنه كلام جميل صائب بل وثيقة تربوية هامة صدرت من عالم متمكن جديرة بالدرس والبحث والمناقشة والتطبيق.



(١) وافق إعداد هذا البحث بداية العام الدراسي وهو صالح لكل عام.

- ١٦ -
تقويم الطلبة
تقديم الطلب

أسلفت شيئاً من ذلك وإكمالاً لما سبقا من كلام أصحاب الشأن الذين يقولون إن تقويم ومتابعة المدرس الكفء لطلابه من أهم وأعظم موضوعات التقويم التربوي، إذ هو يتضمن أو يدخل فيه ضمناً توجيه التلاميذ دراسياً ومهنياً ومسلكياً... إلخ إذ هو يهدف إلى تقدير ومعرفة وعمق الأثر التربوي المراد الذي تحدثه عملية التعليم بوجه عام، وكان هذا القياس أو التقدير ولازال أحياناً قاصراً على معرفة مقدار ما حصل عليه الطالب من مادة معينة، وكان هذا القياس ولا يزال أيضاً لدى الكثير يعتمد أساساً على اختبار معين وفي وقت قصير يجريه المعلم المدرك لتلاميذه لا يقتصر على ناحية معينة كالاختبار مثلاً، إنما هو عملية متعددة الجوانب والمطالب، تتناول الجوانب المختلفة من شخصية الطالب وسلوكه وعقله وإدراكه ومعرفته وحكمه على الأشياء... إلخ:

تقويم المعلم لتلاميذه ووسائله:

يعتبر تقويم المدرس المدرك لمادته ورسالته وواجبه من أهم ميادين التربية والتعليم كما أنه أهم وأعظم ميادين التقويم التربوي بل قد يكون أهمها جميعاً فهو كما يقولون لب اللباب وفصل الخطاب. ولذا يمكن إيضاح بعض الأهداف التي يراها التربويون تتحقق من وراء ذلك:

ـ ومنها:

أ ـ تقويم ومعرفة وقياس التحصيل الدراسي وهو هدف كبير وهام.

ب ـ اكتشاف الاستعدادات والقدرات والمواهب العقلية النفسية والمزاجية والتوجهات المختلفة.

ج ـ تتبع النمو ودعمه وتقويمه بصفة مستمرة.

د ـ دراسة شخصية الطالب من جميع أبعادها دراسة دقيقة رفيقة متأنية موضوعية، لكي تساعد على معرفة سلوكياتهم الحاضرة والمستقبلة.

الامتحانات التجريبية:

منها امتحانات في المواد النظرية ومنها امتحانات تحريرية، امتحانات كما يقولون تقليدية، ومنها الاختبارات الموضوعية التحصيلية، وكذلك الامتحانات الشفوية المرتبطة بالامتحانات العامة وكذا الامتحانات العملية، وهناك امتحانات عامة في المواد الفنية. ومنها الامتحان اليومي السريع في الدرس وهو مفيد وضابط ورابط وكذلك الأسئلة التحضيرية في بداية كل حصة وهي قريبة من سابقتها وكذلك هناك أعمال بيتية ومدرسية وفصلية حسب ما يراه المعلم وكذلك الأعمال المنزلية المعروفة بحدودها وشروطها التربوية وكذلك النشاط الشخصي ويسمونه (الحر) يضاف إلى ما سبق الهوايات المرتبطة بالتحصيل في المواد المختلفة وهي هامة ومفيدة.

الامتحانات التحريرية:

وهي معروفة ومألوفة، ويراد بها كما سبق قياس التحصيل في نهاية الفترات الدراسية ويعتبرها أصحابها من أهم وسائل التقويم بل هي أهمها لديهم فهي تحدد مستوى التلاميذ والحديث لها وعليها يطول وقد أسلفت قبلاً طرفاً من ذلك.

أنواعها:

١ ــ **امتحان المقال:** هكذا أطلق عليه المتخصصون، حيث جرت العادة أن يقوم المدرس بعمل امتحان أو امتحانات تحريرية، وهي عبارة عن عدد قليل من الأسئلة، يتطلب كل جزء منها الإجابة بعدد قليل أو طويل من الإجابة حسب المادة وقدرة الطالب وتوجيه المدرس ولذا أطلق عليها أسئلة المقال

حيث المقال عادة يطول ويقصر حسب الأحوال والظروف المعروفة، وهذا النوع من الاختبارات هو الوسيلة الوحيدة تقريباً لدى الكثير التي يقيس بها المدرسون مدى قدرة واستيعاب طلابهم وهي أسئلة كغيرها تخضع جودتها وعدمها للمدرس نفسه (علمه، فطنته، إدراكه، قدراته، عمقه العقلي والمعرفي والتربوي. . . إلخ) ويلاحظ أن هذه الطريقة رغم ما وجه إليها من نقد، وأحياناً لاذع وخاصة في بعض اللقاءات والدورات، وحتى الدراسات الجامعية المتخصصة أقول على الرغم من ذلك لا زالت هي الوسيلة الأكثر شيوعاً ولم تتأثر كثيراً بكثرة ما وجه إليها من نقد رجال التربية والتعليم والقياس التربوي، ولعل هناك أسباباً كثيرة لذلك منها أنها أسئلة سهلة، يحضرها المدرس بسرعة ويعطيها أو يجربها على طلابه، ثم يصححها، ويخرج نتائجها بنفسه، دون استعداد مسبق أو تميز تربوي بين، ودون تدريب كبير مثل الاختبارات الموضوعية التحصيلية:

ميزاتها:

أ ـ عرفها الناس أو بعضهم منذ القدم وتدربوا عليها طلاباً ومدرسين وتأصلت في نفوس الكثير حتى أصبح البعض لا يهتم بغيرها.

ب ـ حرية الطالب في الإجابة فهي لا تحده ولا تقيده بإجابة معينة محددة تحديداً ضيقاً بحيث لا تحتاج منه إلا وضع إشارة أو علامة أو خط تحت كلمة، أو كتابة كلمة معينة بل يرى أنها تطلق حريته وقلمه وفكره في معالجة المسألة هكذا يتصور الكثير لما أسلفت من العادة والاعتياد، والعادات طبائع ثوانٍ، كما أن أصحابها يرون أن الطالب حر في تنظيم وترتيب وتبويب تلك المعلومات، واستخلاص ما يراه من نتائج.

ج ـ يرى المتحمسون لها أنها تقيس النتائج الهامة لعملية التعليم التي تحقق الاختبارات الموضوعية، ووسائل التقويم في قياسها ويقولون إن قياس أهداف التربية البعيدة لا تستطيع قياسها إلا عن طريق أسئلة المقال.

النقد لها:

أ ـ عدم ثبات تقديراتها وهذا واضح وبين وكل تربوي يدرك ذلك، فلو

صححت سؤالاً أو أسئلة اليوم ثم عرضت عليك بعد فترة وبطريقة معينة لتغيير تقديرك وهذا مجرب.

ب ـ تصحيحها يحتاج إلى وقت طويل ومجهود أكثر أضف إلى ذلك أشياء أخرى يعرفها المعلمون، وخاصة في المدارس والجامعات ذات الأعداد الكبيرة.

ج ـ هي غير قادرة على الشمول للمنهج حيث أنها عادة تتكون من عدد قليل من الأسئلة.

مقترحات لتحسينها:

أ ـ يقول التربويون إن ذلك يتطلب ضرورة ملاحظة عينة التلاميذ التي وضعت الأسئلة من أجلها حسب المراحل.

ب ـ تحديد أهداف الاختبار بدقة قبل وضع الأسئلة، وتدريب الطلاب والمدرسين على ذلك.

ج ـ تحديد مقدار الحرية التي نريد من الطالب أن يتحرك في حدودها في الإجابة وذلك بالإعداد والتمرين المسبق.

د ـ من الممكن جداً تقنين اختبارات المقال، وذلك باستخدام وسائل تقنين الاختبارات الموضّوعية.

وأخيراً همسة صادقة في آذان المربين أعانهم الله وهم أدرى الناس برسالتهم وواجبهم التربوي ألا تكون الاختبارات بهيبتها وجوها الرعيب الرهيب هي المقياس الأوحد لتقويم الطلاب على الدوام وليكن المعلم تربوياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ سامية عالية وهو أهل لذلك وليكن رحيماً رقيقاً رفيقاً متأنياً فاحصاً مدققاً متتبعاً، يقوم طلابه طول العام لا من خلال ورقة معينة في وقت معين الأعصاب فيه مشدودة والأحمال فيه على الطالب كثيرة متخذاً من لين الجانب والتجمل والبشاشة أقوى سبيل للوصول بمادته وطلابه إلى الهدف التربوي المراد كما أن كثرة الاطلاع والمتابعة لكلام التربويين أفضل سبيل للارتقاء بالعملية التعليمية إلى الهدف المراد أيضاً وذلك بالمتابعة لكل جديد مفيد وتليدٍ إذ أن التربية الجادة تقوم على إنماء شخصية الطالب وهذا ما سأعرضه في حلقات قادمة إن شاء الله.

- ١٧ -
وسائل التقويم

إلحاقاً لما سبق من الحديث عن التقويم الجيد والفرق البين والكبير بينه وبين نظام الامتحانات أو الاختبارات المعمول به حالياً وبكل صلف أحياناً أقول هذا ما قاله التربويون، إن الامتحانات بعيوبها ومثالبها المختلفة لا زالت مع الأسف الشديد الوسيلة الوحيدة المستعملة في كثير من دور العلم والمعرفة بل في بعض مدارسنا ومدارس غيرنا لتقويم الطلاب بل لتقويم أعمالهم المختلفة في المدرسة، والسؤال الآن الذي يوجه للتربويين عندنا وعند غيرنا هو: هل الامتحانات بعيوبها ومثالبها المختلفة سواء كانت فترية أم فصلية أم انتقالية أم امتحانات عامة حتى ولو كانت مسابقات مختلفة أو في الوظائف العامة، هل هي مقياسٌ دقيقٌ وصادقٌ وثابتٌ ومميزٌ، هل يطمئنُ إليها وإلى نتائجها؟ وهل ثبتت صلاحيتها تربوياً لقياس أعمال التلاميذ وخاصة في مثل هذا الوقت الذي يحاول الخيرون فيه وهم كثير بحمد الله أقول إنهم يحاولون الصلاح والإصلاح والتطوير ما أمكن ذلك وفي حدود ما يصلح لهذه البلاد ديناً ودنيا؟ غير أنني أقول حسب علمي وتجربتي إنها ليست كذلك أي أنها ليست مقياساً وحيداً وصحيحاً وثابتاً ومميزاً وصالحاً يمكن بعد الله الاعتماد عليه وتثبيته وتقعيده في قياس أو تقويم التلاميذ في المواقع المختلفة، حتى ولو على سبيل المثال لو قصدنا المعنى الضيق وغير الشامل من مفهوم أعمال التلاميذ في مختلف الأماكن وهو ناحية التحصيل الدراسي فامتحاناتنا أو بعضنا والبعض من غيرنا بصورتها الحالية يلاحظ عليها كما هو معروف ومقرر في مواضعه بأقلام المتخصصين وخلاصتها الآتي:

١ ـ هي لا تقيس كل قدرات وإشراقات وإبداعات الطلاب ونشاطهم

فهي تهمل مثلاً النمو بمختلف جهاته، وضربوا لذلك مثلاً بالنمو الجسمي والتكيف الاجتماعي، والمهارات اليدوية والأخلاق بصفة عامة وما أهمها وأعظمها وأكبر نفعها أو ضررها وإنما الأمم الأخلاق والحديث فيها يطول.

٢ ـ هي بصفة عامة لا تتناسب ولا تتمشى مع أغراض التعليم لا السابقة ولا المعاصرة فهي كما سبق تهمل أهم شيء لدى الإنسان.

٣ ـ يقتصر التقويم بها في كثير من الأماكن لحد كبير على آخر العام أو الفصل.

عدى محاولات مختلفة هنا أو هناك يطلق عليها أحياناً، أعمال السنة أو نحو ذلك من المسميات علماً أن امتحان آخر العام أو الفصل هو بحالة لم يتأثر كثيراً بذلك من حيث الاستعداد والوعد وأحياناً الوعيد والترغيب والترهيب، لذا نجد جهد الطالب ينصب كثيراً على آخر الفصل أو العام ويظهر ذلك أحياناً جلياً وواضحاً في مساجدنا وبيوتنا وشوارعنا وتختل الحياة العامة وأحياناً تقل حيث الناس مشغولون بهذا الأمر المهيب الرعيب، وما الناس بوجه عام إلا طالب أو والد أو والدة أو معلم ومن منهم غير مشغول بالامتحانات وجوها الرهيب، وإذا اقتصر التقويم بها على آخر العام غالباً كما هو الحال سوى ما ندر، تكون الفرصة المرادة في التقويم قد أفلتت وضاعت من أيدينا للانتفاع بهذا التقويم، وهذا في حد ذاته وصفاته يخرجها عن كونها أداة تقويم ويجعل منها عملية ثواب أو عقاب، إنها بهذا شئنا أم أبينا عملية ثواب بالنجاح أو عقاب بالرسوب وهذا بين وواضح من حالها ومآلها.

٤ ـ هذه العملية من التقويم لا يشترك فيها التلاميذ مما أدى إلى وقوف التلاميذ منها موقفاً دفاعياً فوجد التحسس والتوجس بين المعلم وتلاميذه، ودخل الطالب أحياناً فيها وهو خائف يترقب وأصبح فؤاده أحياناً فارغاً من شدة الكرب وطول الانتظار وصعوبة المفاجأة أحياناً، ويميل البعض أحياناً إلى الغش وبطرقه الملتوية.

٥ ـ هذا اللون من الاختبارات ليس له أثر إيجابي في تحسين العملية

التعليمية بوجه عام سوى القليل، والقناعات المكتسبة بمر السنين والعادة والاعتياد ومما تقدم وقبله في الحلقة الماضية هل معنى هذا أن نهمل الامتحانات وننصرف عنها إلى شيء آخر أحسن منها، أو نستخدمها مع تحسينها ونستخدم إلى جوارها أدواتٍ ووسائل أخرى للتقويم بحيث لا تنفرد الامتحانات بالقيام بالتقويم وحدها للعيوب السالفة الذكر. يقول التربويون إن الامتحانات على ما فيها من عيوب لا يمكن إهمالها ولا إغفالها كوسيلة من وسائل التقويم ولكن نظراً لأن التقويم عملية أوسع وأشمل وأدق وأعمق مما تحاول الامتحانات أن تقيسه لذا يجب أن نستخدم إلى جانب الامتحانات وسائل أخرى نقوم بها جوانب عمل الطالب ونواحي نموه المختلفة بحيث يصبح تقويمنا للتلاميذ شاملاً وواسعاً ومن ذلك كما هو معروف مثلاً.

أ ـ الاختبارات والمقاييس الموضوعية:

وملخصها أنها وسائل لتقويم السلوك والخصائص الشخصية والقدرات العقلية بطريقة موضوعية، ومنها اختبارات الذكاء واختبارات التحصيل والاختبارات الشخصية، واختبارات الاستعدادات والمقاييس الجسمية، واختبارات التذوق والتكيف.

ب ـ التسجيل والرصد اليومي لسلوك التلاميذ.

ج ـ ملاحظات وإضافات المدرسين المختلفة وهذه هامة وكبيرة إلى غير ذلك من وسائل التقويم المختلفة والتي لا تخفى كثيراً على الكثير من رجال التربية والتعليم فهم بها أدرى، وأحرى علماً أن مثل هذه الدراسة لا تغفل الجهود الطيبة والكبيرة التي يبذلها الكثير من رجال التربية والتعليم للوصول بهذه المسألة أعني تقويم الطلاب إلى ما هو نافع ومفيد ويحقق الهدف المراد خاصة ما نحن بصدده من التقويم الجيد والمتابعة المستمرة للطالب طول فصله أو عامه راجين أن تتضاعف وتتكاثر تلك الجهود الطيبة ويكون هناك قناعات أكثر لدى البعض بالمتابعة اليومية الجادة لنصل بعون الله إلى ما نهدف إليه.



- ١٨ -

التقويم، الامتحان أو الاختبار

ماذا يعنى بكلمة التقويم: يقول التربويون إنها عملية تقدير أو وزن أو حكم على قدر الأشياء أو قيمتها وهي عملية تربط أساساً بموضوع القيم ويقول التربويون في هذا إننا عندما نقول إن التدريس بطريقة الوحدات أفضل من التدريس بالطريقة التقليدية بمعنى أننا نعطي هذه الطريقة قيمة تربوية أكثر من الطريقة التربوية التي نعطيها للطريقة الثانية لأنها تحقق بعض الأغراض والأسس التربوية التي تحقق تعليماً أفضل، وعملية التقويم داخل المدرسة تحدد في ضوء الفكر التربوي السائد في تلك المدرسة، وهذا بين وواضح كما هو واقع ومشاهد، ولذلك يقولون، بل يؤكدون أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين عملية التقويم والأهداف التربوية التي تعمل المدرسة في حدودها وعملية التقويم في المدرسة لدى التربويين عملية حيوية في توجيه وصقل نشاطنا التعليمي، لأنها تهدف إلى الكشف عن نقط الضعف والقوة والتي بها بعد الله يتسنى لنا أن نتغلب على عوامل الضعف إن وجدت في مسارنا التعليمي وأن نزيد كثيراً في عوامل القوة والبناء أيضاً، وهي عملية دائمة ومستمرة حسب المستطاع ورجل التربية والتعليم أياً كان موقعه هذا همه وهذه صفته وتلك رسالته وهي رسالة أنبياء كما سيأتي إن شاء الله والتقويم بالطريقة التربوية الجيدة عملية لازمة وأساسية للنمو المعرفي المنشود.

جوانب علمية التقويم:

لخصها بعض التربويين في ثلاثة جوانب:

١ ــ تحديد الأهداف.

٢ ــ تحديد الأوجه المراد تقويمها وتحديد الوسائل المستخدمة للحصول على الحقائق التي تستخدم للحصول على الحقائق التي تقف في جانب هذه الأوجه أو ضدها.

٣ ــ رسم خطة أو برنامج عمل في ضوء النتائج التي توصلنا إليها.

طرق التقويم المتبعة:

يمارس الكثير في دنيا الناس الطريقة التي يطلق عليها التربويون الطريقة التقليدية وهي التي تعتمد على الامتحان المعروف بطرقه ووقته ورهبته وهيبته وهي طريقة يعتمد أصحابُها أسلوبي الترغيب والترهيب، ويأخذون نتائج الطلاب منها ويحكمون عليهم من خلالها وهي قاعدة (انجُ سعدٌ فقد هلك سعيد) بصرف النِظر عن الكشف عن المواهب والمثالب، وما تحدثه هذه المعلومات في سلوك التلاميذ. . . . إلخ.

ولا داعي للإطالة في تعريفها وإيجابيتها وسلبياتها فقد شب عليها الصغير وهرم منها ومن غيرها الكبير فالله المستعان.

هل التقويم والامتحان لفظان مترادفان، أو متقاربان، أو متجانسان:

يقول أصحاب الشأن إن الواقع خلاف ذلك، فالامتحان بطرقه وأساليبه عملية تختلف كل الاختلاف عن التقويم المراد للآتي:

١ ــ الامتحان وكما هو مشاهد عملية وقتية نهائية يترتب عليها النجاح أو الرسوب، بينما التقويم واضح من اسمه ومسماه عملية مستمرةٌ وهو بهذا جزءٌ لا يتجزأ من عملية التعليم والتربية الجادة ويقول التربويون: إن عملية التقويم تحاول دائماً وكأنها تهمس في آذان أصحاب الشأن فتقول.

أ ــ أين نحن الآن؟

ب ــ ما مدى تقدمنا يا ترى؟

ج ــ ما الخطوات العملية الثابتة التي نخطوها كي نحقق ونوثق ما رسمنا لأنفسنا وأجيالنا من أهداف؟

٢ ـ الامتحان التقليدي يقول التربويون عملية من طرف واحد فهناك أسئلة توضع بطرق مختلفة وتخضع لعقل وفكر وعلم وثقافة المدرس وعمقه وبعده التربوي أو ضد ذلك كله والطالب في ساعة أو سويعات محددة بشر تحكمه صفات بني جنسه صحة ومرضاً وراحة وقلقاً فهو في تلك اللحظات في مد وجزر مع نفسه ومع شغله، أما التقويم فهو عملية تعاونية معدة مرتبة مُقَعّدَةٌ غير مُعَقَّدَةٌ كحال بعض طرق الامتحان الذي قد يمارس اليوم وبطرق غير سديدة أحياناً، ويقولون إن التقويم الجيد يشترك فيه ومنذ مطلع العام أو الفصل الطالب وولي الأمر والمدرس ومدير المدرسة وكل من له اهتمام تربوي مفيد داخل وخارج المدرسة وهو بذلك عملية تربوية جيدة تحفز كل مشترك فيها على النمو التربوي والمعرفي المراد.

ج ـ يقول المهتمون إن الامتحان بوجه عام عملية تقيس عادة ما يمكن بمثلها قياسه، سواء كان ذلك المقيس تحريراً أو عملياً بينما يقيس التقويم الجاد بالإضافة إلى ذلك الأشياء غير الملموسة عادة وخاصة لدى البعض لا كل الناس فالناس ليسوا سواء وذلك مثل النضج الفكري والعقلي والمعرفي والاتجاهات المختلفة ويساعد التقويم المتميز على الكشف المفيد عن المواهب الدفينة والقدرات الكافية والاستعدادات الخفية أحياناً وما أكثرها كذلك وما أكثر غير المهتمين بها من المحسوبين أحياناً على التربية والتعليم والقيام على تنشئة الشباب والطلاب، وليس معنى هذا أن التقويم الجاد المفيد يتعارض مع الامتحان أو الاختبار الجيد والذي هو طريق ووسيلة هامة من وسائل التقويم المفيد وليس هو الطريق الوحيد للحكم على الطالب كما هو متعارف عليه أحياناً وأقول هنا أحياناً لأنه يوجد في مجموعة المدرسين المختلفة من يهمه ما ذكر من أمر التقويم الجيد كما أسلفت.

الجوانب التي تقومها المدرسة في التلميذ:

يقول المهتمون في هذا الأمر: حيث إن المدرسة المهتمة تربوياً ويقوم على العمل بها تربويون متخصصون نابهون يقولون مثل هذه المدرسة تقوم على تربية التلاميذ تربية راشدة شاملة، إذاً فهي تهدف وبجد وحزم خاصة في عملية

التقويم، إلى تقويم نمو التلاميذ في كل جانب وإلا وقع رجل التربية والتعليم فيما لا ينبغي (كما أسلفت بشأن الامتحانات وكونها الطريق الوحيد للقياس) ويقولون، ينبغي أن يشمل التقويم المراد تربوياً أكبر قدر ممكن من تلك الجوانب السالفة الذكر ومن أمثلة ذلك:

١ ــ القدرات العقلية، وهناك طرق كثيرة واختبارات مختلفة يمكن أن نقيس بها هذه القدرات العقلية المتنوعة منها مثلاً اختبارات الذكاء.. إلخ.

٢ ــ التحصيل، ويقصد بذلك المعلومات والخبرات التعليمية المفروض أن يحصل عليها التلاميذ في المدرسة ويقولون أن هذا الأمر لا يقف عند هذا الحد وإنما يجب أن يتناول التقويم الجاد قدرة التلاميذ على الاستفادة من هذه المعلومات وتلك الخبرات فيما يواجههم من مواقف الحياة وما أكثرها، وهناك اختبارات كثيرة يعرفها المتخصصون وتكرر على أسماع الدارسين ولكن المهم في ذلك الفهم والإدراك لها ثم التطبيق العملي الواقعي لها أيضاً، وهذه الاختبارات تقيس درجة تحصيل الطالب في مادة دراسية معينة كالحساب والتاريخ مثلاً لمعرفة مدى وقدرة استيعاب الطالب للمادة كلها لا في قدر معين منها كما يحدث ذلك عادة في أسئلة الامتحانات العادية.

٣ ــ ومن ذلك التكيف الاجتماعي.

٤ ــ النمو الجسمي.

٥ ــ ميول التلاميذ.

٦ ــ نمو الاتجاهات.

٧ ــ المهارات المختلفة، وهذه الأخيرات لا يتسع المقام للتوسع فيها علماً أنها بينة وواضحة لمن أراد معرفتها أو التوسع في مادتها ثم تطبيقها حسب قدرته في مدرسته وعلى طلابه هذا والحديث موصول بحول الله حول هذه المسألة الهامة والتي في مثل هذه الأيام[1] يحسن الحديث بها أفراداً وجماعات وعلى مختلف الأصعدة لنحقق بعد توفيق الله فكراً وعملاً تربوياً مفيداً والله الهادي والمعين.

---

(١) المراد أيام الامتحانات في كل وقت وحين.

عود على موضع التقويم، أو الامتحانات، أو الاختبارات

عندما بدأت اختبارات الدور الثاني في التعليم العام اهتم لها من يعنيهم ذلك الأمر، فالتلاميذ الذين لديهم مواد إكمال يعيشون هم وأهلهم في خوف وقلق وترقب وأرق، وهم قد بذلوا ويبذلون جهوداً كبيرة وأحياناً عسيرة، لينالوا فوزاً، يقضون ليلهم ونهارهم في استذكار واستعداد، كما أن الآباء والأمهات قد وضعوا أيديهم على قلوبهم خوفاً من مصير أولادهم حيث أن الدور الثاني هو الفرصة الأخيرة للطالب المكمل هكذا أراد واضعو الامتحانات، فقلوب الوالدين فعلاً في مثل هذا الموقف الذي يتعلق بمصير أبنائهم (فارغة) وهو تعبير حي وموحٍ له دلالة خاصة، بل هو صورة حية للقلب المتعب المكدود الذي لا حول له ولا طول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بذل جهده وجهيده، القلب الفارغ لا وعي فيه ولا قدرة على نظر بل تفكير طويل هيام وشرود وحيلة قليلة، فهو قلب خالٍ من كل ما عدى غرضه والغرض هنا الاختبارات، وهو هنا والحالة هذه ليس بملوم، أما المدرسون أعانهم الله فهم في إرهاق وضيق وتعب ونصب، يقضون صباحهم في المتابعة والمراقبة وجمع وصف الأوراق وترتيبها وتوزيعها، ويقضون مساءهم في التصحيح والتنقيح والتدقيق والتثبت من صحة الإجابة والجمع والرصد والكتابة المختلفة وكل ما يتطلبه هذا العمل الدقيق، والامتحان في اسمه ومسماه مأخوذ من المحنة بمعنى الابتلاء والاختبار والتمحيص والتهذيب تقول محنت الذهب إذا عرضته على النار للتصفية والتنقية، حيث أن الامتحان يكشف حقائق الأشياء، والقيم والأشخاص قال بن فارس (مَحَنَ) الميم والحاء، والنون، كلمات ثلاث على غير قياس، الأولى (المحْن) الاختبار، ومَحَنَه وامتحنه، والثانية أتيته فما منحني شيئاً أي ما أعطانيه والثالثة محنه سوطاً ضربه، قال في مختار الصحاح (م ح ن) المحنة واحدة المحن التي يمتحن فيها الإنسان من بلية أو محنة من باب قطع وامتحنه

اختبره، والاسم المحنة، وجاء في المصباح المنير كلام قريب من هذا وبعض التربويين خاصة غير المدركين لبعض مدلولات اللغة يحاول جاهداً تخفيف وقع هذه الكلمة بكلمات مشابهة أو تفسيرية لها وأظنه فسر الماء بعد الجهد بالماء، فالواقع واحد وسمه ما شئت فلن يغير من الحال شيئاً كما نقول في مجالسنا أحياناً العامة والخاصة هيبة الامتحان، ورهبة الامتحان ونبالغ حيناً آخر فنقول شبح الامتحان، لكن الواقع لم يتغير وأظنه لن يتغير فأسلوب امتحان الأجداد يمارس هذه الأيام مع الأحفاد رغم القيل والقال وكثرة السؤال وقلة الفعال، أعود لموضوع الامتحان فأقول إن القرآن الكريم قص علينا بأسلوبه الفذ الكثير من قضايا الامتحان والابتلاء والاختبار للتأسي والاعتبار والإدكار وبمسميات وتعابير وتصويرات مختلفة يقتضيها المقام وإن لم يذكر فيها اسم الامتحان صراحة فهو واضح فيها كل الوضوح وقد جاء ذكر الامتحان بمادته الصحيحة والصريحة في موضعين من كتاب الله الكريم أولهما جاء في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[1] وثانيهما في قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾[2] وأعمال البشر وامتحانات الناس مهما بولغ في ضبطها ودقتها لا يمكن أن تكون المقياس والمعيار الأفضل والأوحد في بابها كما أنه لا يمكن أن تكون مثالية وكاملة وشاملة لأمور كثيرة يعرفها جيداً التربويون، وأنا أؤكد هنا على كلمة التربويين بشدة لأن عيوبها ومثالبها كثيرة وعسيرة أيضاً ويصعب تداركها أو تلافيها بل الممكن التخفيف منها والتقليل حسب الإمكان، وقد قال بعض التربويين ولا أقول (أصاب) إن الامتحان شر لا بد منه وزميله الآخر الأكثر تفاؤلاً وموضوعية قال الامتحان شيء لا بد منه وهو كلام أقرب إلى الواقع من سابقه، ومهما قيل في الامتحانات كما يقول التربويون، فهي أمر لا بد منه، أما المدح والقدح فسيبقى الباب فيهما مفتوحاً، والأعجب من ذلك أن التربويين على كثرة ما

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٣.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

قالوا وعلى اختلاف بينهم في الإفراط والتفريط والواقعية وعدمها قد أجمعوا تقريباً على أنه لا بد من الامتحانات ولكن لكل مشرب ولكل مطلب ذلك أن الامتحان ضرورة لا بد منها ولا يستغنى عنها في أي نظام أو عمل فنحن في كثير من المجالات بحاجة قصوى إلى تقدير ومعرفة كفاية وقدرات ومواهب الناس، فالناس لا بد لهم من غاية وهدف يعملوا لبلوغها ومن الطرق الصحيحة لذلك الامتحانات الصحيحة أيضاً كذلك فإن الامتحانات طريق جيد وموصل من طرق التشويق والإثارة وبعث الهمم والمدارك كما أن هناك فرقاً واضحاً كبيراً بين من يقرأ للتسلية أو ما شابه ذلك وليس له غرض وبين من يقرأ لسبب وهدف ومطلب معين، كما أن الامتحانات تصبغ الطالب بصبغة الجد والاجتهاد، والجدية في كل الأمور وفي كثير من المواقف، وتعوّد على التركيز والاهتمام، كما أنها عامل هام من عوامل المنافسة، والمسابقة الصحيحة المربحة، والامتحانات عند التربويين ضروب وأشكال، ليس المقام مقام سرد لها، أو مقارنة بينها أو تفاضل كذلك، أما عيوبها فكثيرة، والمدرس الكفء يقلل منها كثيراً ويتلافى العديد منها، يخفف من سلبياتها وينزع كثيراً إلى إيجابياتها، إن تقدير الدرجات يخضع إلى حد كبير إلى عقلية المدرس وعمقه وبعده التربوي ونظرته العامة، وإعداده المسبق تربوياً، كما أن التقدير يتأثر بعلم المدرس وقلة معرفته، ومقدرته العلمية والتربوية وصدق حسه التربوي، وما وصفه في فكره من مستوى للإجابة قد يطول ويقصر، ويتغير ويتبدل، فما هو وافٍ وكافٍ ومقبول في نظري، قد لا يكون لديك كذلك، والناس بشر، وقد خلقوا مختلفين تقريباً في كل شيء، علماً أن نموذج الإجابة الذي قد يوضع أحياناً قد لا يغير في الأمر شيئاً أعني تفاوت المصححين، إن الأسئلة السائدة عندنا في هذه الأيام يغلب على تصحيحها الصفة الذاتية والفكرية والعلمية والتربوية أيضاً وهي أهم صفة والنظرة أحياناً للشخص، إذاً فاتفاق اثنين من المصححين على درجة معينة لورقة الإجابة شبه مستحيل وقد ذكر الباحثون من التربويين وغيرهم نماذج طريفة في هذا قديماً وحديثاً وهي مسألة تتكرر في كل وقت وحين الأمر الذي يشهد لصحة ما سبق، ومما يجدر ذكره في هذا المقام كمثال وللطرفة ما حصل في جامعة كولمبيا حيث وضع المدرس الذي يقال

له (بن وود) إجابة نموذجية لأسئلة الامتحانات، ثم ضاعت الورقة بين أكوام الإجابات ثم لما وقعت في يد أحد المصححين، تغيرت الحال ولم تعد نموذجية كما كان يراد بها بل لم تحصل إلا على نصف الدرجة ولم تنجح إلا بجهد معين، ففي العدل لم تنجح والله أعلم وإنما نجحت بالفضل، هذا المثال وغيره، والأمثلة لدى التربويين، وأهل الميدان كثيرة ووفيرة وما يقال عن الامتحانات من عيوب وقصور كل ذلك يعطي المدرس المقتدر الدليل الأكيد على أن الامتحانات المبالغ فيها ضرر محض وأن الشح الكثير والكبير في التقدير والتشنج أحياناً في ذلك أمر لا مبرر له، وأن الناس متفاوتون في الإجابة وفي التقدير أيضاً وعلى المدرس أن يأخذ هذا كله في الحسبان، كما أن المدرس نفسه يختلف وضعه ومزاجه من حال إلى حال، ومن وقت لآخر وأن التسديد والمقاربة هي الطريق الأمثل، كما أن الطالب الذي دخل الامتحان مرتين في فصل دراسي واحد، قد بذل ما عنده واستفرغ جهده وعمل ما يستطيع وبذل وسعه، وليس هناك فرصة ثالثة ولا أخيرة فالتثبت والتروي وسعة الأفق، والنظرة التربوية الشاملة أمور لا بد منها، وللتربويين مقياس دقيق ورفيق وحساس وحَانٍ ومتأنٍ وهو قولهم، لا تكون مصححاً دقيقاً ولا تبرأ ذمتك بيقين إلا إذا تصورت عند التصحيح والتدقيق أن هذه الورقة مثل ورقة أقرب الناس إليك، وقطعاً مرادهم العدل والإنصاف والتحري الدقيق، أخيراً أعود وأكرر وأذكّر أيضاً، أذكّر بقلوب الآباء والأمهات الفارغات، ولندقق، ولنتدبر كلمة، القلب الفارغ في هذا المجال، كما حكاها القرآن عن الأم في موضع آخر وهي في لهفة وقلق، حيث أصبح فؤادها خالياً من التفكير في أي شيء في هذه الدنيا سوى ابنها موسى عليه السلام، وهو تعبير ذو دلالة حية صور حالتها النفسية حتى كأنها صارت فاقدة لكل شيء في قلبها سوى أمر ابنها وفلذة كبدها ومهجة فؤادها، وهكذا تكون الحال مع الوالدين في كل أمر يخص أولادهم وفي مقدمة ذلك هذه الأيام[١] وما يتصل بالامتحانات والنجاح والرسوب، فهل أدرك كل التربويين ما تشير إليه الآية الكريمة.

نرجو ذلك/ هذا والله الموفق والمعين.

---

(١) المراد أيام الاختبارات التي تتكرر كل عام.

- ١٩ -

فقد العلماء والتربويين الناصحين

إن مهمة المسلم في هذه الدار مهمة شريفة عالية، رفيعة سامية. إنها خلافة الله في أرضه، والوصية على خلقه، إلى طريق الله السوي والتجافي بهم عن مزالق الهوى والردى، وفي سَيْرِ، وسِيَرِ عظماء الإسلام من نبلاء، وعلماء، وصلحاء، وأئمة عاملين، وفضلاء، وكرماء من أعظم ما يبعث الهمة العلية ويقدح زندها، ويذكي خامدها وهامدها وجامدها، ذلك أن حياة هؤلاء، الصلحاء تتمثل أمام المسلم فتوحي إليه بالاقتداء بهم، والسير على نهجهم، ومنهجهم نهج محمد ﷺ، وكثيراً ما يدفع الناس إلى العمل الصالح والفعل الرابح النبيل ديناً ودنيا حكاية قرؤها عن رجل صالح أو قصة مفيدة رويت عنه وتاريخنا الإسلامي المجيد مليء وحافل بالنماذج الخيرة والمثل العلية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾[1] هؤلاء الرهط الكرام البررة الأعلام. وهم في دنيا الناس بحق وصدق مصابيح الظلام الذين يقودون موكب الإيمان، الذين هداهم الله، وهُداهم الذي جاءهم من الله فيه القدوة والأسوة برسول الله ﷺ ومن آمن به فهذا الهدى وحده هو الذي يسير عليه، وهذا الهدى وحده هو الذي يدعو إليه قائلاً للناس أجمعين ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[2] إنها حقيقة ثابتة امتدت شجرتها الأصلية وموكب موصول تماسكت حلقاته ودعوة واحدة حملها رسول بعد رسول وعالم بعد عالم، ومؤمن بعد مؤمن ممن أراد الله لهم الهداية والدراية وجنبهم سبل الغواية، وهو واقع حي موح يسكب الحلاوة والنداوة والطمأنينة والأنس واليقين والبصر

---

(١)(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

والبصيرة في قلوب المؤمنين الصادقين، المؤمن بهذا التصور الصادق يحس بالقوة والوحدة والقيام من الوهدة، يعلم علم اليقين أنه ليس وحده، وليس مقطوعاً لا جذر، ولا أصل ولا أساس، كحال المخالفين إنه فرع متين مكين منبثق من شجرة راسخة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وحلقة في موكب جليل موصول، موصولة أسبابه بالله ووحيه وهداه، وهذا هو طريق الفطرة الحية النقية العميقة إنه وعي لا يطمسه الركام، وبصر يلحظ ما في الكون من عجائب وغرائب، من دقيق وعميق ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[1] إنه فكر وتدبر يتبع المشاهد حتى تنطق له بسرها المكنون، وأمتنا الإسلامية في تاريخها القديم والحديث ثرية بالنماذج الحية البهية والقمم السامية السامقة، سواء في ميادين العلم ونشره والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، أو في الميادين الأخرى ذات النفع والرفع العام والخاص، لقد ملأ هؤلاء الرجال حياتهم بجلائل الأعمال ونبيل الخصال، فشهدت لهم الأمة بعلو المنزلة وسجل لهم الأخيار والمنصفون تلك المآثر والأعمال، وهي عند الله إذا شاء أتم وأكمل وليس الحديث هنا عن السابقين فقط، وإنما الحديث عنهم وعن الذين أتوا ويأتون بعدهم إلى يوم الدين، فقالوا الخير والبر، وأدركوا ما أدركوا من مجد وسؤدد في الدارين، وذلك عندما زكت نفوسهم وكبرت آمالهم الأخروية وعلت هممهم وحسن مقصدهم، ظهرت فيهم ملامح التفوق والنبوغ والأريحية والألمعية، وظهرت جوانب الهمة العلية في شخصية وسلوك هؤلاء الرجال، والناس إنما تتفاوت أقدارهم في الدار الآخرة بقدر همهم وهممهم، ولذلك فداني الهمة الأخروية لا قيمة له ولا قدر ولا اعتبار، لأنه ميال للدعة مؤثر للراحة مخلد للأرض قاعد عن الذي خلق من أجله كلف بالصغائر، ومولع بمحقرات الأمور همه خاصة نفسه، فكره محصور في مأكله ومشربه وملبسه ومركبه أما تطلاب المعالي والدار الآخرة ونشدان الكمالات لتلك الدار الباقية فلا تخطران له على بال، إن من أكبر نعم الله على خلقه نعمة حفظ هذا الدين

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٨.

القويم برجاله المخلصين وهم العلماء العاملون والنخبة المرضيون الذين كانوا أعلاماً يهتدى بهم وأئمة يقتدى بهم، وأقطاباً تدور عليهم معارف الأمة، إن وجود أمثال هؤلاء في الأمة، حفظٌ لدينها وصونٌ لعزتها وتراثها المجيد الخالد، تراث محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام إنهم السياج المتين والحصن الحصين والنور المبين بعد الله العلي العظيم وهم ورثة الأنبياء في أممهم، وأمناؤهم على دينهم، وهم شهداء الله في أرضه، فليس في الأمة مثلهم في النصح، والإخلاص، يعلمون أحكام الله ويوجهون خلقه ويرشدون عباده إلى ما ينفع في الدين والدنيا وهم أهل الصدق والخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1] ولهذا تكاثرت النصوص من الكتاب والسنة في فضل العلم وأهله، «من يرد الله به يفقهه في الدين» «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمنات البر والبحر»، «وإن فقيهاً واحداً أشد على الشيطان من ألف عابد» ذلك أن العابد نفعه غالباً لنفسه، أما العالم العامل فقد تعددت مواهبه، وعذبت مناهله، حفظ دين الله ونفع عباده، فهو يقود الأمة إلى الخير، والفضيلة والصلاح والإصلاح، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد والشيطان وأعوانه يقودونهم إلى الجحيم والبلاء العظيم ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2] ولذا كان الشيطان وأعوانه وإخوانه يفرحون بموت العلماء وفقد الصلحاء ونقصان الأتقياء لأنهم أعداؤهم يحولون بينهم وبين ما يريدون، من الفساد والإفساد وإذا كان هذا فضل العلم وأهله، أفلا يليق بنا أن نهتم ونبذل الممكن من الجهد والجهيد، لتحصيل العلم النافع في الدين والدنيا، ونهيء لذلك بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا وأولادنا، كباراً وصغاراً، ليعمروا الآخرة والأولى، وليعبدوا الله على علم وبصيرة ووعي وإدراك، وذلك يكون بملازمة العلماء والسير على نهج الأتقياء كما يكون أيضاً بجودة التحصيل والسؤال والمتابعة والمناقشة والبحث والتحقيق والتوثيق والتدقيق، لنفوز بإرث

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٦.

الأنبياء في هذه الدار وبصحبتهم إذا أراد الله في دار السلام، ونحن بحمد الله في هذه الديار المباركة نعيش واقعاً فريداً حيث يسر لنا ديناً سليماً قويماً وصراطاً مستقيماً، جعلنا بفضله من أمة محمد ﷺ خير الأمم وحفظ لنا ديننا حتى وصل إلينا بحمد الله صافياً نقياً من البدع والخرافات والمخالفات بما أقام لنا من أئمة الدين، والجهابذة والمرشدين، ممن نصروا السنة وأقاموا معالم الملة حيث طهرت هذه الجزيرة المباركة من الشرك والوثنية فأنت بحمد الله في طول البلاد وعرضها، لا تجد قبراً ولا مشهداً ولا توسلاً بمخلوق، ولا مولداً ولا معبداً إلا لله وحده، ولا تجد من يحرف نصاً من نصوص الصفات، أو ينفي ما جاء من صفات الله، وإذا كانت هذه منزلة العالم في أمته ودينه وهذا أثره وتأثيره أفلا يجدر بنا أن نأسف لموت العلماء وفقد الأتقياء وتناقص الصلحاء حيث إن فقد العالم ليس فقدا لشخصه، ولكنه فقد لجهده وجهاده وفكره وتحصيله وتجربته وتأصيله، إنه فقد وأي فقد لجزء عظيم من ميراث النبوة وتراث الأمة المجيد النافع بحسب ما قام به هذا العالم في وقته وأمته من العلم والتعليم والتحقيق والتدقيق، إن فقد العلماء خاصة في أعقاب الزمن لا يعوض بمال أو نحوه، إن فقده مصيبة عظيمة على الإسلام والمسلمين، لا يعوض إلا بمثله بمن يقوم مقامه، من البيان والتبين والعلم والتعليم ونصرة الحق وأهله وقمع الباطل وحزبه وفي مثل هذا الوقت بالذات حيث كثر القراء وقل العلماء، كثر المتحدثون والمتحذلقون وقل الفقهاء، والتنظير والإنشاء كثير والعلم والفقه والتروي والتبصر قليل، وإن شئت فقل كما يقول التربويون: (أمية المتعلمين) وهذا حق وصدق فتجد الكثير أو الجم الغفير يتحدث كثيراً ويرغي ولا يزبد، وينظر ويتفنن في الإنشاء والتسطيح لكن قل أن تجد من يحقق لك مسألة علمية وهذا الوضع غير الحميد لم يغب عن بال رجال التربية والتعليم لكنه يبحث في مكانه، والأدهى والأمر في ذلك أن الكثير نصب نفسه للفتياء والحكم على الأشياء وهو في الأعم الأغلب ليس من أصحاب الشأن ولا من فرسان الميدان ورجال التربية والتعليم يؤكدون على أمرين هامين هما التخصص الدقيق، والتأهيل الجيد، أي الشهادات العالية، ولا يرفعون رأساً لتلك

الأقاويل الفارغة والدعوى الباطلة، ممن حرموا نعمة التحصيل والتأهيل، ونحن بحمد الله دوماً لا نيأس من روح الله ولا نقنط من رحمته، وعزاؤنا في ذلك خبر الصادق المصدوق **«لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»** والإنسانية اليوم والمسلمون خاصة في أمس الحاجة إلى هذا النموذج الفريد هذا النموذج الفذ الذي لا تطيب الحياة إلا بهم، ولا تسود القيم الإنسانية الرفيعة إلا بوجودهم، ولا تتجلى حقيقة وجوهر الإسلام إلا بهم، وهذا ما فعله الرسول ﷺ في صدر دعوته حيث هيأ رجالاً أوفياء كرماء صلحاء تجسد فيهم الإسلام فلما رأى الناس المنهج الفريد السديد مجسداً في الفرد المسلم، أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجاً، هذا والله الهادي والمعين.



الإنسان والتربية

جل التعاريف التربوية التي عرّفها بها المدققون قديماً وحديثاً تدل بمجموعها على أن هذه العملية الكريمة تعود بالنفع الكبير على الفرد (المربي) قبل غيره، حيث إن أهم أهداف التربية إنشاء شخصية ذات مثل عليا، وهذه هي رسالة المعلم الكفء والتربية بوجه عام علم متطور متغير إلى الأفضل يقوم على أصول وقواعد وتجارب تنمي السلوك والشعور والوجدان السوي وتضبطه بحيث يصل الإنسان بعد توفيق الله بالتربية المثلى إلى كماله وهو يستمد أصوله ومناهجه وبرامجه من عدة مناهل حية أهمها الدين والخلق القويم ومن معارف أخرى كثيرة يجمعها كلها المعلم المقتدر، أما من الناحية اللغوية، فالعرب تقول كما في معاجم اللغة: ربيته تربية بمعنى غذوته فهذه من معانيها وليست كل مراميها، لكنها بعد ذلك استعيرت هذه الكلمة الحية الواسعة للتعبير عن تغذية العقل والروح والوجدان وهي كلها معان جميلة ذات دلالات أصيلة تجعل من الإنسان الذي شرفه الله وأكرمه وخلقه في أحسن تقويم تجعل منه كائناً حياً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، له تقاليده وأعرافه وأصوله المرعية التي تقوم على الذوق السليم والفهم الكريم والتي تعني رفعة هذا الإنسان وسموه، وهذه إطلالة سريعة على بعض التعاريف للتربية وكلها تدور حول المفهوم السابق للتربية الحقة: فمثلاً عرفها أفلاطون بقوله: (إن التربية هي إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال، أما (أرسطو) فيرى أن الغرض من التربية: إعداد العقل لكسب العلم كإعداد الأرض للنبات، أما (سبنسر): فيرى أن التربية هي إعداد الإنسان ليحيا حياة كاملة، أما (كانت) فجعل التربية وسيلة للوصول إلى الكمال الممكن. وقال الغزالي: غايات التربية مراعاة استعداد الطفل وطبعه وأخذه بالآداب الدينية وأن يعمل المعلم بعلمه،

هذه بعض آراء المختصين في التربية على تفاوت بينهم مما يدل دلالة واضحة على أن التربية هي الشغل الشاغل للناس منذ القدم وستظل كذلك لأهميتها حيث إنها روح، وجوهر التنمية الإنسانية، وخلاصة أقوال المربين من المسلمين وغيرهم تنحصر في الآتي:

١ ـ الاهتمام بالمدرس إعداداً واهتماماً ومتابعة وأثراً في طلابه.

٢ ـ الاهتمام بالطالب.

٣ ـ الاهتمام بالمناهج.

٤ ـ الاهتمام بالكتاب المدرسي.

٥ ـ تنمية ملكة البحث والاستقلال.

٦ ـ الاهتمام بمجتمع المدرسة.

أما الإسلام بحكم شموله وخلوده فقد أقام نظامه الاجتماعي على قيم تربوية عالية، أقام نظاماً تربوياً مميزاً غير مسبوق ولا ملحوق أقام نظاماً تربوياً يحقق للإنسان التسامي والتوازن الفاعل في هذه الدنيا، وكان القرآن والسنة هما اللحمة والسُّدى لهذا البناء التربوي الأصيل، وكان عليه الصلاة والسلام يؤكد دوماً على منهج الأسوة والقدوة الصالحة ﷺ المثل الأعلى في هذه التربية العالية أشار إلى ذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1] وفي حديث عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن) ولقد حث القرآن الكريم على تتبع سيرته ﷺ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] والإنسان هو محور التربية الصحيحة، والتربية الإسلامية الراشدة تبدأ بالفرد لكي تصل إلى الجماعة حيث أنها مصدر الحضارة الفكرية والعمرانية، وأحكام الشريعة الإسلامية كفيلة بأن تزكي النفس وتهذب الطبع وتنظم وترتب الملكات وتربي الذوق الرفيع وتهتم كثيراً بتأديب النفس والروح والعقل والجسم وبطريق فذة

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

متعادلة، ولا تهتم بجانب فقط على حساب آخر، والتربية الإسلامية المجيدة لا تؤتي ثمارها النقية الشهية مع وجود أمشاج وأخلاط من النظم والتصورات المأخوذة من الأمم الضالة مهما زينت وأخرجت للناس بأثواب حضارية براقة قد تعشى العيون العليلة والأبصار الكليلة القاصرة، ومما تقدم ندرك أهمية التربية الإسلامية وتميزها على غيرها ووفاءها بمتطلبات الحياة ومعالجتها بحق وعمق وصدق لكل قضايا الإنسان، وكل علاج أو منهاج غيرها في ديار الإسلام إنما هو ترقيع لا يفي بالغرض المقصود، حديث الساعة ومحل اهتمام المسؤلين وفقهم الله إلى كل خير (أسبوع المرور) وكيف عالج هذه المسألة هذا العلاج الناجح المفيد يوم كان الطريق سهلاً وميسراً كما خلقه الله وبدون جهد يذكر من هذا الإنسان، والسالك له إنسان راجل أو دابة وليس فيه مثل هذه الحوادث العظيمة التي تحدث في طرق الناس اليوم وسببها بعد الله كثيراً هذا الإنسان، علماً أن الطريق الآن وفي بلادنا خاصة قد بذل في إعداده وإحكامه الشيء الكثير، ولكن هذا الإنسان العجول الملول أحياناً يحول هذه النعم العظيمة والكثيرة إلى خلاف ذلك في بعض الأحيان، وهذا لا شك عند التربويين قصور تربوي حيث يفترض في التربية أن تلبي حاجات الناس وتفي بمطلبهم ولقد قال: أستاذ الحياة عليه الصلاة والسلام: «إياكم والجلوس في الطرقات» وقال في الحديث نفسه: «أعطوا الطريق حقه» وقالوا ما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]. في هذا الحديث توجيه كريم يوضح آداب الطريق ونهج المسلم في ذلك فلا يجلس في الطرق العامة هو وسيارته ولا بالأماكن المشغولة بالمارة أو بمصالح المسلمين إذا لم يكن هناك مبرر أو حاجة أو ضرورة ملحة أو مصلحة راجحة لما يترتب على ذلك من أذى وتضييق على المسلمين، والاطلاع على أحوالهم وشؤونهم الخاصة.

ومن ترك النظر إلا ما لا يعنيه عوضه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه،

---

(١) رواه البخاري. حديث صحيح.

ومن آداب الطريق ترك الأذى والبذاء والنداء بقول أو فعل، ومن أهم آداب الطريق رعاية النظام واحترام ما وضعه ولاة أمر المسلمين، والعمل بإرشادات وتوجيهات جهات الاختصاص فمن واجب الجميع أن يبتغوا في سيرهم النظام العام، فإن النظام دوما حسن ومريح، وضده شائن وقبيح، والنظام حلو في لفظه ومذاقه وتصوره وتطبيقه، لذا فالتربية المثلى تجعل من هذا الإنسان غير المخالف رجلاً على ذوق رفيع، وأدب منيع، وخلق كامل مع الجميع، تجعل منه إنساناً معتدلاً في سره، وسيره، لا تباطؤ، ولا تكاسل، ولا عجلة، ولا إسراع، (فرب عجلة أعقبت ريثاً) وحسبنا تربية وتزكية قول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[1] وقوله: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[3] إن مشية عباد الرحمٰن مشية هينة لينة سهلة ليس فيها تكلف ولا تصنع ولا ترهل، لا سرف ولا مخيلة ولا مذلة ولا تصعير خد ولا تخلع ولا تمايل ولا تطاول، فالمشية عند علماء الشأن ككل حركة تدل على شيء يعتمل في نفس هذا الإنسان وتصدقه الجوارح تعبير عن شخصية صاحبها وعما يكنه من طباع ومشاعر، والنفس الصحيحة الطيبة الساكنة المطمئنة تخلع صفاتها الكريمة وسماتها الجميلة على مشية وصفة صاحبها فيمشي جاداً قاصداً في وقار وحشمة وعقل وروية وجد وقوة مناسبة وليس معنى قوله: ﴿هَوْنًا﴾ أنهم يمشون مشية فيها رخاوة وتماوت وكسل وخمول، لا فهذا المعلم الأمثل ﷺ إذا مشى تكفأ تكفياً، وكان أفضل وأسرع الناس مشية بأدب واحترام، قال: أبو هريرة ﷺ ما رأيت شيئاً أحسن من مشية رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وقال علي كان رسول الله ﷺ إذا مشى

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٨.
(٢) سورة لقمان: الآية ١٩.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

تكفأ تكفياً كأنما ينحط من صبب وهي مشية الرجال الكبار، مشية أولى العزم من الرسل مشية أولي الهمة العالية من الأفذاذ، وعباد الرحمٰن دوماً في أخلاقهم وصفاتهم وجدهم ووقارهم وشيمهم وحشمتهم ومروءتهم وقصدهم في مشيتهم متميزون في كل ذلك، ولا يشغلون أنفسهم بسفه السفهاء ولا بحماقة الحمقى ولا يضيعون وقتهم وجهدهم فيما لا ينفع الإسلام والمسلمين، يترفعون عن المهاترة والمبارزة الخاسرة، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾[1] وهذا الانضباط ينبغي أن يكون سلاح المسلم في كل الأحوال، فالنفس المؤمنة المطمئنة لم تعد تتصرف حسب هواها وإنما تحكمها الآداب، والمثل الشرعية، واحترام مشاعر المسلمين نبل وفضل وشهامة ورجولة، وهي من أهم الأصول الشرعية، والقواعد الأساسية في أصول التربية الإسلامية، إن هذه الأسس وهذه المثل العالية ينبغي أن ترافق الطفل منذ أن يفتح عينيه في أحضان أبويه، فالبيت مدرسة عظيمة يهتم بها الإسلام وبعد البيت يأتي واجب، (ولا أقول دور) المدرسة فهو تعبير قاصر ملته الأسماع وكرهته الطباع، إن واجب المدرسة كبير في التعليم والتأديب والأخذ بمعالي الأمور وأشرافها، لتسعد الأمة وتجني ثمار العلم والعمل به، والمعلم الناجح خير من يؤصل ويعمق هذه المفاهيم التربوية العالية فيسير الناس بحول الله في طرقهم سعداء آمنين على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.



---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

تكامل العمل التربوي

يقول علماء التربية من المسلمين: (إن التربية نظام شامل متكامل يهدف دوماً إلى إسعاد البشرية روحياً ومادياً، ويقولون أيضاً: (لقد تحقق هذا المعنى الجيد في التربية الإسلامية وحدها وأفلست جميع النظم التربوية الأخرى) وشهادة أهلها واضحة في تحقيق هذا الهدف الكبير الذي ينطلق أصحابه وبقوة من الآية الكريمة: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[1] وأهداف التربية الحقة كثيرة لا تنتهي والتي منها كما يقول (هربارت) المربي الألماني (الغاية من التربية هي الأخلاق والوصول إلى الفضيلة) أما الطريق الصحيح إليها فيكون بالتعليم والتوجيه والنظام ولقد اتفق في رأيه هذا مع العديد من التربويين ومنهم أفلاطون مثلاً حيث قال: (إن القيمة العليا هي الفضيلة وأن المعرفة بها هو سبيلها) ويقول بعض التربويين المجيدين: (إن هذا الرأي يجمع بين المثالية والواقعية) كما يقولون أيضاً: (يخطئ من يرى أن التربية إعداد للحياة فقط كما هو رأي بعض أو كثير من التربويين غير المسلمين، (وإنما هي الحياة نفسها) وهذا حق وصدق وخاصة ما دمنا نقصد بذلك الحياة الطيبة التي عناها القرآن ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[2] ولا شك أن كثيراً من المجتمعات قديماً حديثاً تعتمد بعد الله في بقائها وأصالتها ونضجها وتقدمها على التربية الصحيحة والمدرس في عرف المربين المقتدرين صورة حية ونقية من المجتمع الذي يعد أبناءه وبناته للحياة الإسلامية الصحيحة ويرى التربويون من المسلمين أن يكون للتربية تطلعات

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٢) سورة القلم: الآية ٩٧.

كبيرة نحو مستقبل أفضل وأتم لإنقاذ البشرية، بل إنقاذ الإنسانية الحائرة والمعذبة التي لم تهتد بهدى الإسلام، ولا زالت وستظل تتخبط في تربيتها ما دامت بعيدة عن نور الله ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1] ويرى التربويون المسلمون أنه لولا التربية الكريمة والسليمة لتعرضت الفطرة النقية لشرور الحياة واجتيال الشياطين فانحرفت النفس البشرية وسقطت في مهاوي الرذيلة والجريمة إذ لا يمكن أن نتصور مجتمعاً بدون تربية، والتعليم هو رائد التقدم والرقي، إن كل شيء في المدرسة يهدف إلى التنمية في نفوس التلاميذ كما يهدف إلى الصبغة الإسلامية التي وردت في القرآن: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[2] ولذا أكد التربويون المسلمون على أن تتعاون المناهج كلها ولمختلف المواد في بث تعاليم الإسلام الحية النقية لإيمانهم الكامل، إن التربية هي الوسيلة الفذة لبناء الأمة وبناء الرجال أيضاً وتحقيق الآمال وتعدد المواهب والوفاء بمتطلبات الحياة العديدة، ولذا كان طريق التربية الصحيحة بعيد الشقة طويل المراحل كثير المناهل ولا يصبر على ذلك إلا أولو العزم والفهم وهي الطريق التي سلكها معلم الإنسانية وأستاذ الحياة ﷺ فكون الله على يديه ذلك الجيل الرباني النموذجي الذي لم تر الدنيا مثله والذي تولى بعد ذلك تربية الشعوب وقيادتها نحو الحق والصدق والخير والفضيلة، حيث إن هذه التربية المثلى محددة الأهداف واضحة الخطو والخطوات معلومة المصادر متكاملة الجوانب متنوعة الأساليب تقوم على منهج بين غير مرقع ولا مجمّع؛ بيّن المفاهيم تستمد أصوله وقواعده من الإسلام وحده دون سواه أقول إن أي تربية هذه أسسها وهذه مناهجها وأهدافها وتعتمد على أصل بيّن ومتين من الكتاب والسنة ونهج ومنهج سلف هذه الأمة ستكون جديرة بالبقاء والنماء والتميز والتوفيق وستكون محط أنظار ودراسة المنصفين والمخلصين والمتخصصين وأنا هنا أؤكد على هذه الأخيرة أعني المتخصصين حيث عانت

---

(١) سورة النور: الآية ٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

التربية قديماً وحديثاً وستعاني إلى أن يشاء الله من غير المتخصصين والمهتمين والممارسين المقتدرين، وأنا هنا أستثني كما استثنى التربويون من حاول الإجادة والتفوق فقرأ ومارس واهتم وسلك الطريق الأفضل فقد وصل البعض منهم إلى درجات حميدة ومفيدة، وإذا كانت التربية المثلى بهذه الصفة من المكانة في حياة وواقع الناس فلماذا لا تكون التربية الجادة منهجاً ومنهلاً لجميع مناحي الحياة؟ ولماذا تقتصر وتختصر أحياناً على أماكن الطلب وجماعات الطلاب؟ ولماذا لا تتخذ طريقاً سليماً في جميع مناحي الحياة؟ إن التربية الجادة ترسم الطريق السليم والكريم للحياة وبعد الممات، أقول هذا ولدينا بحمد الله تجارب تربوية حميدة وسديدة واجبنا الاستفادة منها في أمور تهمنا كثيراً في حياتنا فمثلاً تربية البنت على العفاف والفضيلة والبعد عن الرذيلة وأماكن السقوط والهبوط مطلب يهم جميع المسلمين شرقاً وغرباً ولذا قال الشاعر وأجاد:

من لي بتربية النساء فإنها ... في الشرق علة ذلك الإخفاق

ومن هذه التجارب الفريدة في التربية والتعليم رئاسة تعليم البنات والتي استكملت نظام التعليم فيها في أقل من عشر سنوات والتي أصبحت بحق وصدق فيما بعد وثيقة تربوية هامة يُعايا بها تربوياً من حيث العفة والمحافظة والدقة والتنظيم ورسم سياسة تعليمية للبنات كانت محط أنظار واعتبار الآخرين حيث تعليم البنت يختلف تماماً عن تعليم الولد خاصة لدى المسلمين، وإن الدارس المنصف لهذا التعليم الفريد ليشهد له بالتفوق والجد، كما يشهد للقائمين عليها قديماً وحديثاً بالأمانة وصدق الرعاية والتي فاقت كل التصورات فاطمأن الناس إلى رعاية وتعليم بناتهم، وتسابقوا إلى ذلك، لما رأوا من صدق النوايا وصحة التوجهات، وعظيم الجهد المبذول مع الصيانة والحشمة والدقة، وحسن الرعاية وجودة المتابعة إننا يجب أن نستفيد من هذه التجربة الحية النقية في تعليم ورعاية البنت لدى تعليم البنات وهذه هي رسالة التربية في الحياة خاصة ما يتصل بالمحافظة على المرأة كبيرة كانت أم صغيرة وفي مختلف

المواقع التي تتجمع فيها النساء، مثل قصور الأفراح وأسواق النساء وأماكن تجمعهن، حقاً إن التجربة فريدة ورائدة تربوياً بل رائعة حيث كانت حازمة ومفيدة، كما أن فكر المؤسسين التربوي أمثال الشيخ/ ناصر بن حمد الراشد، يجب أن يكون محل عناية ورعاية ودراية بل دراسة التربويين خاصة وكليات التربية بنين وبنات بوجه عام بل ينبغي جعله أطروحة تربوية، تفيد الباحث والدارس والقاريء ومن ينشد الخير والفضيلة ويهتم بالتأسيس التربوي المفيد.



جماعات تحفيظ القرآن توجه تربوي جيد

إن من أجل نعم الله على عباده أن وفق نخبة خَيرِّة من فضلاء هذه الأمة الراشدة بتأسيس جماعات تحفيظ القرآن الكريم في هذه البلاد الطيبة مهد الحضارة الإسلامية النيرة التي أعطت بنى الإنسان الخير الكثير والعطاء الوفير على مر العصور وتقلب الدهور، ولقد بذل هؤلاء الأخيار في تأسيس هذه الجماعات الشيء الكثير وأعطوا من فكرهم وعلمهم وخبرتهم التربوية كما أعطوا من مالهم وجهدهم ما نرجوا أن يكون كل ذلك في ميزان حسناتهم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1] بذلوا كل ذلك طائعين ومختارين الغالي والنفيس بدل الرخيص فكان لذلك أثره الكبير في خدمة كتاب الله تعلماً وتعليماً وتوجيهاً فكان لذلك أثره الواضح في تربية الشباب والطلاب واستقامتهم كما عنيت بهؤلاء الشباب عناية فائقة ومركزة تركيزاً تربوياً مميزاً، فوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، قوت عزائمهم وشجعتهم مادياً ومعنوياً وعلى رأسها وزيرها الكفء معالي الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي[2] والذي عرف بتفوقه التربوي والمعرفي وتميزه الإداري والقيادي يساعده ويعاضده في ذلك كله رجال وزارته الكرام ومسؤولو الجماعات في المناطق، فلقد أشرفت هذه الوزارة بحق على هذه الجماعات بدقة وإتقان وتوجه تربوي صادق ولائق وفق منهج تربوي متميز يستقي نبعه من أوثق وأعمق المصادر التربوية المسلم بها في دنيا الناس، خاصة

---

(١) كتب هذا البحث أيام كان الدكتور عبد الله وزيراً للشؤون الإسلامية.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ٨٨، ٨٩.

رجال التربية والتعليم من المسلمين، ولقد عملت هذه الوزارة ما في جهدها مادياً وتربوياً لا سيما ووزيرها ذو اهتمامات تربوية مسلم بها لدى التربويين، وأتى بخير النتائج لما كان في مجال التربية والتعليم.

بل كان متفوقاً ومن الطراز الأول تربوياً لذا اهتمت هذه الوزارة بمعلم القرآن أولاً: ثم الطالب ثانياً: وأقامت المسابقات الخيرة والمفيدة لتكريم الطلاب ورفع هممهم واهتمامهم ودفع عزائمهم نحو الحفظ والإتقان فظهر ذلك جلياً في سلوك الطلاب ومظاهرهم ومخبرهم وأسلوب حياتهم بل وتميز الكثير منهم في مدارسهم وهذه حقيقة تربوية موفقة يعرفها رجال التربية والتعليم جيداً، إن الحديث عن القرآن الكريم ورجاله وأهله والمهتمين به شيق وممتع والحياة مع القرآن تعلماً وتعليماً وتلاوة وتدبراً نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها وتفيأ ظلال القرآن ونهل من معينها وتذوق طعمها الأصيل وشرابها السلسبيل، والمسلم عندما يعيش مع القرآن فإنه إنما يعيش في كنف الله وفي حماه ورعايته وعنايته يقوده هذا الجو الروحاني العطر والعبق في طريق الكمال الصاعد المتجدد يضيء له دروب حياته المعتمة المظلمة المليئة بالأشواك والعقبات والمنغصات ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[1]، وإنه لطبع أصيل وتوجه تربوي نبيل أن نرى الجهات التربوية والمتخصصة وذات العلاقة أيضاً تتسابق بل تتسامى في العناية بكتاب الله تعلماً وتعليماً وتطبيقاً بحول الله، وهذا مشاهد ومحسوس، وإن تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لمثل هذه اللقاءات والمسابقات لهو نهج حميد رشيد وأسلوب تربوي مفيد بل تربية إسلامية مثلى بل تعتبر رائدة في هذا الاتجاه السليم الكريم، إن هذا التعليم الأصيل كما يقول التربويون المسلمون، وهو تعليم كتاب الله وحفظه وتجويده، وهي بوزيرها الشهم الهمام ورجالتها الفضلاء الأجلاء أهل لهذه المسؤولية العظيمة، والأمانة الجسيمة إن اللقاءات والجلسات والمسابقات حول كتاب الله في نظر المربين المؤصلين توجه تربوي راشد ماجد، ورافد تربوي وتعليمي معاضد ومساند له

(١) سورة الزمر: الآية ٣٦.

أثره البالغ في حياة الشاب المسلم فهي تبعث الأمل وتدعو لإتقان وجودة العمل، وتوقظ الحماس، وتقوي الشعور، وتحرك الهمم، وتطرد السأم والملل والكلل المصاحب للتعليم أحياناً خاصة إذا كان المدرس غير تربوي وغير مهتم بالطرق التربوية المثلى ذات النفع الكبير كما أنها خير حادٍ وحافز ومشجع للدارس على التعليم الجيد وبذل أقصى الطاقات والإمكانات، ونحن في تربيتنا الميدانية في التعليم العام والجامعي أيضاً وما بعده نشاهد ذلك ونوثقه ونوصي به على الدوام، إن الثواب والمكافأة والتشجيع أيّاً كان نوعه إيجابي في حياة ونهج طالب العلم والمعلم الكفء لا يهمل ذلك، فالاهتمام بالناشئة والشباب خاصة وتعاهدهم بالعناية والرعاية من أفضل وأنبل الطرق التربوية المسلم بها، ففيها حفز وتشجيع وإعانة مثلى على قراءة القرآن وفهمه وتجويده وتفسيره، ونحن في بحوثنا ومدارسنا نؤكد كثيراً على ذلك خاصة في مجالي الكتاب والسنة لما تشتمل عليه من مقاصد كريمة وغايات نبيلة وأهداف عالية وسامية، وهي ميدان رحب وفسيح للِصّفْوة المختارة وللنبلاء والمتميزين والمبرزين والموهوبين، إن رعاية ومتابعة أمثال هؤلاء من أهم واجبات التربويين والمهتمين بشؤون الشباب والطلاب، ومن خلال الدراسة والبحث والمعايشة الميدانية غير القصيرة وضحت لي ولغيري من التربويين الحقائق الآتية:

١ ـ العلم عموماً لا بد من حفظ قواعده وأسسه وبراهينه ونتائجه ليخرج العالم والمتعلم من دائرة الثرثرة والإنشاء والتسطيح والكلام المبعثر بدون ضابط أو رابط، إذ هذه صفة أصحاب الهذر والهذيان. وحفظ القرآن والسنة خير زاد لذلك التأصيل.

٢ ـ من ينتمون إلى هذه الجماعات الخيرة يتميزون غالباً بالطبع الأصيل والتربية المثلى والخلق النبيل والسمت والحشمة والوقار والتوازن في السلوك والاتجاه وهذه مطالب التربويين.

٣ ـ هم في المدارس العامة والجامعات من المتميزين علماً وخلقاً وهذا ما نعبر عنه في تربيتنا (بأثر المدرس في طلابه) وقلنا هذا الأثر ذو شقين:

معرفي، ومسلكي، وبحمد الله يجتمع هذا الأوان غالباً في طلاب ومنسوبي حلق تحفيظ القرآن.

٤ ـ حلية طالب العلم التي أكد عليها رجال التربية والتعليم والباحثون في هذا المجال تتكاثر فيهم أكثر من غيرهم.

٥ ـ هذا النوع الجيد من التعليم يسميه التربويون المنصفون التعليم الأصيل أو التعليم الأساسي وكفى بذلك شرفاً ومكرمة ومكانة مثلى.

٦ ـ في فصولهم العامة هم مِلْأُ السمع والبصر يشنفون الأسماع ويرقّقون الطباع بقراءاتهم الجيدة وأصواتهم العذبة وقراءاتهم الجميلة فهل يعي ذلك من يقللون من أهمية التجويد ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾[1].

٧ ـ هم أقدر من غيرهم على النطق الصحيح ومتابعة دروس اللغة العربية وآدابها.

٨ ـ في الدروس العامة الأخرى هم أقدر من غيرهم حيث أفادهم الحفظ والترويض للنفس على التحصيل الجيد وعلى التفوق على غيرهم غالباً فالمسألة إذا ترويض وتعويد واستثمار للطاقات الكامنة وخير مفجر وموجه لها حفظ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٩ ـ أثبتت هذه الحلق ما يسمى عند التربويين (بالمدرسة ذات المعلم الواحد) فمعلم الحلق رغم قصر وقته وضعف ما لديه أحياناً يفوق غيره وبطريقة مذهلة، فليست المسألة مسألة الوقت أو المكان أو الإمكانات أو التعاميم المتلاحقة أحياناً إنما هي مسألة مدرس، ومدرس كفء وكفى.



(١) سورة يسٓ: الآية ٣٠.

مسؤولية رجل التربية والتعليم

تفتح المدارس أبوابها ويبذل المستطاع في إعدادها وتجهيزها ويواصل المسؤولون والخيرون بوجه عام جهدهم وجدهم وتتوالى الزيارات والمتابعات من قبل المشرفين والمسؤولين عموماً، وتتلاحق النشرات والتعاميم المعتادة في مثل هذا الوقت من كل عام دراسي وهذا كله جيد ومفيد ولكن لب اللباب وأس العملية التعليمية هو المدرس حيث أنه عند أصحاب الشأن يحتل مكانة رئيسة وعالية اقتداء بسيد الخلق ﷺ معلم هذه الأمة حيث قال: «**إنما بعثت معلماً**» ولذلك أوجب المربون المسلمون أن يؤخذ العلم من معلم لا من كتاب لأسباب عديدة يطول بحثها وسمّو من يأخذ العلم من كتاب بأسماء كثيرة ليست مناسبة ولم يعولوا عليه كثيراً وإذا رأوا من يتخبط في معلوماته كحال بعض رجال العصر قالوا فلان لا شيخ له إذا فالشيخ أو المعلم يهدي إلى سواء السبيل بإذن الله ويربط المسار كثيراً وهذا اللون من المعلمين الذي نريده وتريده التربية الحقة صاحب مسؤولية عظيمة فهو راع ومؤتمن «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[1] ولعل من أخطر المسؤوليات تلك التي تناط بعهدة المربي وهي مسؤولية يتحمل المربي تبعاتها وواجباتها أمام الله، ولذلك يجب عليه أن يراعي رضا ربه وذلك بأداء الواجب الذي هو أمانة ومسؤولية ثقيلة وعظيمة، إن المدرس الكفء الذي يريده التربويون هو ذلك الرجل الفذ الذي يستحضر عظمة الله وحسابه ووقفته بين يديه يستحضر عرصات ومشاهد القيامة ودقة الحساب، هو ذلك الرجل المدرك الذي يستحضر أيضاً عظم المسؤولية وكبر

---

(١) حديث صحيح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. عبد الرحمن السيوطي ج٢ ص٢٨٩.

الأمانة وضخامة الواجب، يتميز عن غيره ببعد النظر وعلو الهمة وكبر النفس وسعة الأفق وحسن الخلق والكرم والسماحة وطيب المعشر ولين الجانب وصفاء السر والسريرة وأساس ذلك كله التقوى والتحلي بصفات أهل الإيمان والكمال والتقوى أمرها عظيم فهي تنير القلب وتفتح المدارك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[1] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[2] ولا بد للمعلم من الإخلاص والتوجه الكامل إلى الله في عمله مع صلاح نيته ثم التزود قبل الدخول من العلم النافع الذي يتبعه غالباً العمل الصالح المصلح قال العلماء إنه هو المقصود الأعظم من البصيرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[3] فالبصيرة تجمع العلم والحكمة والطريقة التربوية المثلى حيث العلم وحده بدون طريقة تربوية معترف بها لا يكفي ولذا قال التربويون وأجادوا، فلان تربوي، وفلان غير ذلك ويا ترى هل عقلنا نحن التربويين كلام البخاري رحمه الله في ترجمته في صحيحه حيث قال باب العلم قبل القول والعمل حيث استدل بقول الحق جل وعلا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[4] قال رحمه الله فبدأ العلم قبل القول والعمل، حقاً إن البخاري مع علمه وفقهه وفهمه تربوي مجيد، حيث الخلل الحاصل داخل صفوف الطلب آت من إحدى جهتين، إما قلة العلم، وإما الجهل بالطرق التربوية وما أكثرها، ومن صفات المعلم الكفء التواضع ولين الجانب وطيب المعشر، وهذا لازم للمعلمين حيث إن من طبيعة البشر أنهم لا يقبلون على من لا يتواضع لهم ولو كان عالماً أو مدركاً أو مدرساً مجيداً، حيث الكبر والاستعلاء سبب بين للكره والابتعاد، كذلك مما يعاب على المدرس الأنانية وحب الذات والحديث المكروه أو الذي لا فائدة منه، وأقبح من ذلك سباب الزملاء والرؤساء ومن لهم ولاية وكذلك الحديث الفارغ عن النفس والمديح لها، ومما يجمل

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٢) سورة الطلاق: الآية ٤.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٤) سورة محمد: الآية ١٩.

بالمدرس الأناة والحلم وعدم الغضب وكظم الغيظ والعفو والصفح والتجمل قدر المستطاع، إن النزوع والرجوع إلى العقل والحكمة عند ثورة الغضب لهي مما يجمل بالمعلم المقتدر ويخطئ كثيراً من يظن أن الحلم والصفح وكظم الغيظ عجز وجبن قال: سعيد بن عبد الرحمٰن الزبيدي، يعجبني من القراء، ويريد بذلك العلماء عامة ومنهم بلا شك المعلمون يقول يعجبني كلٌ سهل طلق مضحاك، فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بضرس يمن عليك بعلمه فلا كثّر الله في الناس أمثال هؤلاء، والمعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه كان أحسن الناس خُلُقاً وأحسنهم خلْقاً وكان حريصاً على جمال مظهره فكان نظيفاً عطراً أنيقاً ولا عجب ولا غرابة في ذلك فمظهر الرسول ﷺ مطابق لقوله وهو القائل: **«إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»**[1] وكان يحث أصحابه دوماً وهم أساتذة الناس من بعده يحثهم عَلى التزام السمت الصالح والاعتدال في كل شيء فكان يقول لهم كما رواه أبو داود **«إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة»**[2] والطلبة في صفوفهم أحوج ما يكونون إلى دقة المدرس وحساسيته فالدرس يفرض عليه الدقة وطول التأمل قبل وأثناء الحصة والوقوف عند كل كلمة وكل طالب أحياناً (فالضعيف تربوياً أمير الركب) إذا الوقوف عند كل كلمة وأحياناً كل حرف بطول بال وسعة أفق والمدرس يرى في كل وقفة من هذه إشارات ومعارف وعلوم إلهية تلتمع أنوارُها في صدر المعلم المسلم فإذا به ينشرح ويتسع ويغتبط ويفرح بفضل الله ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[3] ومن هنا يجب أن ننبه أن المهمة أحوج ما تكون إلى فتح مغاليق القلوب بالأشياء التربوية المسلم بها التي تحرك القلب الجامد والفكر الهامد والشارد وتخاطب الوجدان، فإذا أفْسَحَتْ لك أيها المعلم المواضيع أو النصوص بين كلماتها ومعانيها وشفّت لك عما وراء سطورها

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٢ من ١٦١ دار صادر بيروت.

(٢)

(٣) سورة يونس: الآية ٥٨.

فاستخرج ما تشاء من المعاني ثم رتبها واربط بعضها ببعض ثم وسع دائرة الحديث على قدر المقام (بلاغياً وتربوياً) وسع هذه الدائرة بما يتصل بالموضوع من غير إملاء ولا تكرار معيب، وصل ذلك كله قدر الطاقة بحوادث الحياة وواقعها العملي والمدرس الكفء لديه القدرة والدراية والمهارة في التأثير الجيد في نفوس طلابه، كما أن لديه المعرفة التامة في إنشاء صلات روحية وأبوية متينة بينه وبين طلابه صلات تعارفية عملية فيكونون معه غالباً على ما يريد، والمدرس المقتدر يهيء طلابه تهيئة، هو صاحب المكانة الأولى فيها بذوقه ولباقته وتجاربه وحسن عرضه لبضاعته، والمدرس الجاد يمكنه ويتسنى له الكثير من هذه الأشياء التي تنبه الذهن وتقوي العزيمة وتنشط طلابه وتحفزهم لزيادة الجد والتحصيل وتمهد الطريق لما بعد حصته من حصص أخرى إذا هو أحسن فهم مادته وأحاط ببعض إشاراتها ورموزها ومراميها، والمدرس المدرك يحترم نفسه ومادته ومسؤوليته وأمانته ويقدر رسالته التي هي رسالة أنبياء وأن يعرف بدقة ما سيقول لا بد أن يعد لموقفه هذا الإعداد الجيد، يعد الأفكار والخواطر المناسبة وأن يجيلها في ذهنه أكثر من مرة، ويقف المدرس الكفء رابط الجأش ثابت الخطو والنظرات مالكاً لزمام نفسه وزمام موضوعه مستنداً بعد الله إلى ما أعد من مادة جيدة مرتبة ومهذبة ومتقنة، وإذا فتح الله عليه بعد ذلك معاني ومفاهيم ومعارف وقدرات جديدة فبها ونعمت وإلا فحسبه ما أعد وما وجد وما رتب بدقة، وبعد أيها الزميل العزيز، التعليم رسالة وأي رسالة! وهذه الرسالة السامية لا يؤدي صاحبها مهمة ولا يحقق هدفاً ولا غاية إلا إذا كان يتمتع بموهبة أصيلة ونبتة صالحة وصادقة وتجارب سابقة ومادة غزيرة وطريقة جيدة، خَبِرَ المهنة وعرف أصولها وفروعها وبدون هذا يكَون العمل ناقصاً وقاصراً ويكون العمل غير مرتب وغير مفيد وقد يُمّل لتفاهته وعدم جدواه وكثرة خطئه وتخبطه وعشوائيته وكثرة اضطرابه، وكثيراً ما رأينا مدرسين مع الأسف الشديد، والكلام هنا للمقصر وهم قلة بحمد الله، كثيراً ما رأينا مدرسين تخونهم المادة وتعوزهم الطريقة الجيدة وتضطرب ملكاتهم فينتقل بدون داع ولا مقدمة من موضوع إلى آخر ثم يستطرد كثيراً وبدون ضابط ولا رابط ثم ينسى كلامه

وموضوعه الأول إذ مهمته ألا يسكت فقط فمن يرضى لنفسه بمثل هذا، إذا هل المعلم بصدد رسالة ذات أهداف؟ تقول نعم، هل أصاب أهدافه أم لا؟ وهل حقق المهمة التي يدور حولها الكلام أم ستر موقفه وسكت؟ المسألة إذا ليست ستراً لموقف والخروج من الضيق والحرج واتقاء الهرج والمرج إنما المسألة مسألة علم وإفادة وقيام بالواجب العظيم إذا ليست مهمة المدرس المقتدر ستر موقفه والتمويه على المسؤولين والطلاب وأولياء أمورهم، بل هو بلا شك صاحب مادة وطريقة راشدة تتصل بأعماق وخفايا الفطرة الحية النقية فطرة الإنسان السوية يجب أن تكون حصتك خلاصة علمك وفكرك وتجاربك باعتبارك أحد الذين ينفعلون بعواقب الرشد والغي وبهذا تكون أديت الرسالة وحملت الأمانة وقمت بالواجب، وستجد أن كلامك بحول الله قد ملأ المكان وسيطر على العقول ودخل البيوت لأن الحياة تولت حمله، هذا ولقد كره رسول الله ﷺ الثرثارين والمتفيقهين، والذين يخاطبون الناس بما لا يفهمون أو ما لا يريدون سماعه لأسباب كثيرة وكان ﷺ المثل الأعلى والأنموذج الأمثل في مخاطبة الناس وإيصال الخبر إلى نفوسهم، وكان أحياناً يعدل ويغير في لهجته الأصلية ليخاطب أصناف الناس ووفود القبائل بما يفهمون من لهجات، والمدرس الذي لا يجيد مثل هذا ولا يعقل ويحمل أقوال وأفعال التربويين رجل مغلق لا يصلح لهذا العمل النبيل والخطير في آن واحد والمدرس أحوج ما يكون إلى القول اللين والكلام الهادي والنفس الرضية الوديعة. هذا والله الهادي والمعين.



التواضع مع طلبة العلم
من صفات المدرس الكفء

من الأخلاق العالية والصفات النبيلة للمعلم الناجح، التواضع وحسن الخلق وطيب المعشر والتودد لتلامذته وطلابه وأن يشملهم جميعاً بعطفه ولطفه ولينه ورحمته، يحبهم جميعاً ويود لهم الخير والمدرس المدرك كلما تواضع لطلابه أحبوه وأكرموه وازداد عند الله رفعةً وسمواً **«ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»**[1] والحديث في مسلم ولذا كانت سيرة المعلم الأول والأستاذ الأمثل ﷺ مثالاً حياً وفذاً في التواضع والقرب وخفض الجناح ولين الجانب وسماحة وسهولة النفس، وكان يعامل الصبيان بهذه الصفة السمحة الهينة اللينة وهو درس بليغ رائع لكل معلم في دنيا الناس، ولما مر أنسٌ رضي الله عنه (وهو تلميذ نجيب من تلامذة مدرسة محمد ﷺ) لما مر بصبيان سلم عليهم وقال كان النبي ﷺ يفعل ذلك، ويذكر الباحثون في شمائله عليه الصلاة والسلام أن الأمة من إماء المدينة تأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت يقضي لها حاجتها والحديث في البخاري وكان عليه الصلاة والسلام يكرّس ويغرس كثيراً من هذا الخلق الرفيع في نفوس أصحابه وفي الحديث الذي رواه البخاري **(لو دعيت إلى كراعٍ أو ذراع لأجبت، ولو أهدي إلى كراعٌ أو ذراعٌ لقبلت)**[2] والتواضع في مجمله وحقيقته دليل على كبر النفس وعلو الهمة وهو طريق كريم لاكتساب المعالي فهو يرفع قدر ومكان صاحبه عالياً في دنيا الناس ويجعل صاحبه خاصةً المعلم محبوباً مألوفاً.

قال ابن المبارك وأجاد: كان يقال الغنى في النفس والكرم في التقوى

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٣٨٦، دار صادر بيروت. وكذلك في مسلم، البر والصلة.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٤٢٤، ٤٨١، ٥١٢.

والشرف في التواضع، وكانوا يقولون: ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة ولقد أحسن من قال:

وأحْسَنُ أخلاقِ الفتى وأتُمها ... تواضعه للناسِ وهو رفيعُ

وقد ذكر علماء التربية من المسلمين من جملة الآداب التي يتحلى بها المعلمون التواضع مع الطلبة وكلِ مسترشد يخفض له جناحه ويلين له جانبه على حد قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾[1] وهي وثيقةٌ تربويةٌ هامةٌ جمعت خصالاً عدة، توحي وتوصي كلُها بالعناية والرعاية والود والأنس، والملاحظة الرفيعة الدقيقة، وهكذا كان الصادق الأمينُ والمعلمُ الأولُ مع صحابته الكرام، لينٌ وتواضع وحسن وطيبُ شمائل، وصورةُ خفض الجناح صورةٌ حسنةٌ قائمةٌ للعيان كما يخفض الطائر جناحيه عند الهبوط، وقد استعمل القرآن هذا التعبير في غير هذا وكلها تعني الرحمة والرّقةَ والشفقة والمكان الآمن، والرسول ﷺ هكذا كان مع أصحابه وهم تلامذة مدرسته، وهو الترجمة الحية النقية للقرآن الكريم ولقد وصفه أحدُ شباب الصحابة الكرام فقال: **لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وإنه كان يقول إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً**. متفق عليه، وما تواضع أحد لله إلا رفعه، وهذا لعموم البشر فكيف بمعلم الناس الخير، والطالب عند علماء التربية من المسلمين له حقوق كثيرة منها حَقُّ الصحبة وحرمة التردد والاتصال وصدق التودد، وشرف الطلب، وفي الحديث: (**تواضعوا لمن تعلمون وتتعلمون منه**)[2] وقال الفضيل وأجاد من تواضع لله ورثه الله الحكمة) ومخاطبة الطلبة بأحسن الأسماء وبالكنى الطيبة من صفات المعلمين المسلمين، قالت عائشة رضي الله عنها: (**كان رسول الله ﷺ يكني أصحابه إكراماً لهم**)[3] ومن صفات المعلم المدرك أن يرحب بطلابه إذا لقيهم

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

(٢) الترمذي باب ٦٩ ما جاء في خلق النبي ﷺ. رقم ٢٠١٦ قال عنه الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٣) مجمع الزوائد جزء١: ١٢٩. للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ج١، دار الكتاب العربي.

خاصة داخل قاعات الدرس والتحصيل فهي أولى من غيرها بذلك، ويكرم طلابه بما يستطيع إذا جلسوا إليه، ويؤانسهم بسؤالهم عن أحوالهم، ويعامل الطلبة جميعاً بالبشر والترحاب ولين المعشر وطلاقة الوجه وحسن المودة، ويزيد كثيراً لمن يرجى فلاحه ويظهر صلاحه ليتمثل المعلم خاصة أستاذ الجامعة قول الشاعر:

ولا تمشِ فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قوم هم منك أرفع
وإن كنت في عزٍ وجاهٍ ومنعة فكم مات من قوم هم منك أنفع

وأخرج الترمذي في كتاب العلم قال رسول الله ﷺ: «**إن الناس لكم تبع وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً**» كتب البويطي صاحبُ الإمام الشافعي (والذي قام مقامه بعد وفاته في التدريس والفتيا، وقال له الإمام قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة) كتب البويطي هذا إلى بعض أصحابه إذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالغرباء خيراً، وقال الربيع كان الإمام الشافعي رحمه الله يملي علينا في صحن المسجد فلحقته الشمس فمر به بعض إخوانه فقال يا أبا عبد الله، في الشمس. فأنشأ الشافعي يقول:

أهُين لهم نفسي لأكرمهم بها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ولقد قال: من عرف الإمام أبا حنيفة أنه كان أكرم الناس مجالسةً وأشدهم إكراماً لأصحابه. قال: بن خلكان كان أبو حنيفة رحمه الله حسن الوجه، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه، وما أجمل بالمعلم خاصة في المراحل العالية أن يتمثل دوماً قول الشاعر، حيث أجاد:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يرفع نفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع
وأخسُّ ما في المرء يرفع نفسه رفيع وبين العالمين وضيع
وأحسن ما في المرء تُكسُر نفسه وضيعُ وبين العالمين رفيع

بالتجربة والمشاهدة عرف التربويون المدققون أنه ليس شيء في هذا

العالم الفاني يَعْدلُ ذلك الفرح وتلك الغبطة التي يجدها التربويون عندما يستطيعون الأداء الجيد والعطاء الصحيح، وأيضاً عندما يعيدون الأملَ والعملَ والبسمةَ إلى نفوس طلابهم، عندما يعيدون الثقة والرضى والفرح إلى من أتو إليهم راغبين لينهلوا من علمهم ومعرفتهم إنها لذةٌ عجيبة ولكن لمن ذاق، الطالب دوماً وخاصة في مثل هذه الأزمنة، بحاجة إلى عطف ولطف ولين أستاذه، وليس من العلم ولا من التربية المثلى في شيء ذلك الجَلَف والصلَفَ الذي ينْتَابُ بعضَ التربويين أحياناً لأسباب عديدة، أهمها أن الطالب أتى يتعلم ومَنْ هذه صفته يحتاج إلى الصبر والاحتساب ولين الجانب وقوة التحمل، ولو كان هذا الطالب عالماً ومدركاً ومؤدباً كل الأدب لما احتاج إليك ولا إلى علمك ومؤسستك، ثانياً: أن الموظف بوجه عام ومن ذلك: المعلم أجير، ومن أخذ الأجر كاملاً طالبه الله بالعمل كاملاً وفق سياسة تربوية مرسومة من قبل ولاة الأمر، ثالثاً: أن المعلم هو الذي سعى للوظيفة، والوظيفة لم تسع إليه وهو الذي قال بلسان الحال والمقال (سآتي بما لم تستطعه الأوائل) علماً وأدباً وخلقاً وعطاءً، رابعاً: هذا المعلم، غير المقتدر تربوياً ونفسياً حال بين الطلبة وبين معلم آخر يفوقه في ذلك كله ولديه ندرة وقدرة وصبر وتحمل واحتساب وصُنع بعد الله تربوياً وفكرياً وعلمياً، وليعلم أنه ليس من التربية في شيء تلك الظواهر السلبية التي تعتري البعض أحياناً وتتمثل في الشدة والحدة والغلظة والجفاء وعدم الوفاء بمستلزمات الوظيفة التربوية، كما حددها أصحاب الشأن كما أن العُبوسَ والكبر، وإلقاء الكلام على عواهنه من أسوأ ما يتصف به المعلم، كما أن التهديد والوعيد والكلام الجارح من أقبح ما يتصف به رجل التربية والتعليم.

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

والبعض يتساهل كثيراً في هذا، وهو يعلم حق العلم، أن الذي مكنّهُ من العمل، وأعطاه الفرصة الذهبية للتعليم والتكريم قد منع العقاب بجميع أشكاله وألوانه، وليعلم الجميع أن القاعدة التربوية المثلى تقول التربية الجادة تقوم على إنماء شخصية الطالب، كما هي مصدرة في أول كتاب (سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية) كما أن التصريح أو التلويح بالامتحان آخر الفصل أو

العام ونتائجه من أقبح الصفات إذا كان ذلك عن طريق التهديد والتخويف أو التشفي والانتقام لا سمح الله، فرجل التعليم أكبر وأجمل وأمثل من هذا بكثير وكم سمعنا وشاهدنا طلاباً مجيدين تركوا الدراسة وانقطع بهم الطريق وخسرتهم البلاد من أجل نزقٍ أو حمقٍ أو موقفٍ تربوي سلبي لم تراعَ فيه الطرق التربوية السليمة ولم يُرْجَعْ لأصحاب التخصص في ذلك، إذا أن بلية البلايا ورزية الرزايا إذا أُدخل على المهنة من لا يعرف أصولها ولم يُعّد أصلاً لها والذي نقولُ لَهُ دائماً ناصحين ومشفقين عليه وعلى طلابه.

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

كما أن الصبر والتصبّرُ من أخص صفات المسلم والمدرس بوجه خاص وفي الحديث الصحيح **«ومن يتصبرً يصبره الله»**، والصبر كاسمه في ابتدائه صعب شديد وفي انتهائه سهل حميد العواقب ولذا قيل:

الصبر مثل اسمه مر مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

وهناك مسألة أخرى يقحمها البعض في هذا المجال ونسمعها كثيراً في أكثر من مناسبة وهي مسألة اعتراف الآخرين بالجميل أو رده وهي مسألة يكثر ذكرها في مجالس بعض المعلمين، وأنا هنا لن أحاول أن أنكر ما في هذا الاعتراف من فضل ونبل وكرم ووفاء خاصة لمعلمي الناس الخير، ولكنني أقول هذا شيء، وأيضاً فليس هو نادر الوجود فالخيرون من الطلبة كثير ورأينا ذلك كثيراً لكن ذلك غالباً يقدم لمن يستحقه من قدم الخير والبر والمعروف والإحسان، كما أنني أقول إن الفرح والغبطة والسرور إنما هو ذلك الفرح الذي ينبع من نفوسنا نحن المعلمين: ويرتد إليها إنه يحمل جزاء كاملاً لأن جزاءه كامن فيه. هذا والله المعين.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة